بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فإن شأن الأخلاق عظيم، وإن منزلتها لعالية في الدين.

ولقد تظاهرت نصوص الشرع في الحديث عن الأخلاق، فحثت، وحضت، ورغبت في محاسن الأخلاق، وحذرت ونفرت ورهبت من مساوئ الأخلاق.

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين: أن الغاية من بعثته إنما هي إتمام الأخلاق الفاضلة، والسجايا الحميدة، والصفات النبيلة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[1]. وهذا يدل على أن حسن الخلق من أعظم ركائز الدين.

---

[1] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٢٠٧).

ومع عِظَمِ تِلك المَـنزِلةِ لِحسنِ الخُلُقِ، إلا أن كَثِيرا مِن المُسلِمِين قَد فَرطُوا فِي هذَا الجَانِبِ، فَلَم يلقُوا له بالًا، ولَم يعِيروه اهتِماما، فَساءَت أخلَاق كَثِيرٍ مِنهم، وشاعت مظَاهِر السوءِ فِي صفُوفِهم، وقَل الحَياءُ فِي سلُوكِ كَثِيرٍ مِن الناسِ ومعاملَاتِهم.

يقُولُ بعض العلَماءِ: إنه إذَا كَانَ شرف المَطلُوبِ بِشرفِ نتائِجِهِ، وعِظَم خطَرِهِ بِكَثرةِ منافِعِهِ، وبِحسبِ منافِعِهِ تجِب العِنايةُ بِهِ، وعلَى قَدرِ العِنايةِ بِهِ يكُونُ اجتِناءُ ثَمرتِهِ؛ ولَما كَانَ حسن الخُلُقِ أعظَم الأمورِ قَدرا وأعمها نفعا، واستقَام بِهِ أمر الدينِ والدنيا، وانتظَم بِهِ صلَاح الآخِرةِ والأولَى، وجب أن نضع حسن الخُلُقِ نصب أعيننا.

لِماذَا ساءَت أخلَاقُنا؟

ساءَت أخلَاقُنا لِأننا نهتم بِملَابِسِنا ومظَاهِرِنا، علَى حِسابِ بواطِنِنا وقُلُوبِنا وأخلَاقِنا!!

ساءَت أخلَاقُنا لِأننا أصلَحنا دنيانا بِتمزِيقِ دِينِنا!!

ساءَت أخلَاقُنا لِأننا نصلِح دنيانا وننسى آخِرتنا!!

ساءَت أخلَاقُنا لِأننا نهتم بِأنفُسِنا وننسى الآخِرِين!!

ساءَت أخلَاقُنا لِأننا لَا ننتبِه إلَى أننا نخطِئُ كَثِيرا!! ولَا نشعر بِأهميةِ محاسبةِ أنفُسِنا وتعدِيلِ أخطَائِنا!!

ساءَت أخلَاقُنا لِأننا جاهِلُونَ بِعيوبِنا، يرى أحدنا القَذَى فِي أخِيهِ، ولَا يرى الجِذع فِي عينِهِ.

ساءَت أخلَاقُنا لِأننا نقضِي وقتا طَوِيلًا لِمشاهدةِ الفَضائِياتِ، والتِي معظَمها لَا تستحِيي مِن نقلِ الصورةِ العارِيةِ، والمُسلسلِ الهَابِطِ، والفِكرِ المُنحرِفِ، وكُل ذَلِك معاولُ هدمٍ لِلقِيمِ والأخلَاقِ، وهِي جرِيمةٌ كُبرى.

ساءَت أخلَاقُنا لِأننا نقدم المَصلَحة الشخصِية علَى المَصلَحةِ العامةِ.

ساءَت أخلَاقُنا فَعِبنا زماننا.

نعِيبُ زماننا والعيبُ فِينا

وما لِزمانِنا عيب سِوانا

كَثُرت ذُنوبنا فَضاقَت صدورنا واضطَربت أعصابنا وساءَت أخلَاقُنا، فَلَا يكَاد اثنانِ يتحدثَانِ حتى ينفَجِر الغضب وتثُور الثائِرةُ وتتدفق الأَلفَاظُ النابِيةُ، إلَى ما ترونَ مِن حالٍ كُلكُم تعرِفُونها.

الأمر عظِيم، والخَطَر جسِيم، والإِهمَالُ يترتب علَيهِ شر عمِيم.

لَئِن تمادينا علَى هذَا الإِهمَالِ فَالمُستقبلُ وخِيم، ولَئِن لَم نحسن أخلَاقَنا فَالخَطَر عمِيم، ولَئِن لَم يفعل كُل مِنا مقدوره فَالضرر جسِيم.

ولِهذَا جاءَت هذِهِ الكَلِمات تذكِيرا بِالخُلُقِ الحَسنِ، وتحذِيرا مِن سوءِ الخُلُقِ: فِي زمنِ العجائِبِ وقَلبِ الحَقَائِقِ، عسى أن نتخلى عنِ الرّذَائِلِ، ونتحلى بِالفَضائِلِ.

الراجِي عفو ربهِ

عبدُ الهَادِي بنُ حسن وهبِي[٢]

---

[٢] بيروت - لبنان. ص.ب ٦٠٩٣ / ١٣ شوران.

هاتف ٦٢٦٧٨٧ / ٠٣ - فاكس ٧٩٧٠٥١ / ٠١

موقع الإنترنت: www.asseraj.net.

البريد الإلكتروني: asseraj@asseraj.net.

ما هو حسن الخُلُقِ؟

عن عبدِ اللّهِ بنِ المُباركِ رحمه الله: أنه وصف حسن الخُلُقِ، فَقَالَ: هو بسطُ الوجهِ، وبذلُ المَعروفِ، وكَفّ الأذَى[3].

١- **بسطُ الوجهِ**: هو إشراقُه حِين مقَابلَةِ الخَلقِ، وضِد ذَلِك عبوس الوجهِ.

وقَد نظَمه بعض الشعراءِ فَقَالَ:

بني إن البِر شيءٌ هين

وجه طَلِيق ولسانٌ لَين

فَطَلَاقَةُ الوجهِ تدخِلُ السرور علَى الناسِ، وتجذِب المَودةَ، والمَحبةَ، وتوجِب انشِراح الصدرِ مِنك ومِمن يقَابِلُك.

٢- **بذلُ المَعرُوفِ**: وبذلُ المَعروفِ لَيس كَما يظُنه بعض الناسِ أنه بذلُ المَالِ فَقَط، بل يكُونُ فِي بذلِ النفسِ، وفِي بذل الجَاهِ، وفِي بذلِ المَالِ، وفِي بذلِ العِلمِ.

إِذَا رأينا شخصا يقضِي حوائِج الناسِ، ويساعِدهم، ويتوجه فِي شؤونِهم إِلَى من لَا يستطِيعونَ الوصولَ إِلَيهم، وينشر عِلمه بين الناسِ، ويبذُلُ مالَه بين الناسِ، هل نصِف هذَا بِحسنِ الخُلُقِ؟ نعم، نصِفُه بِحسنِ الخُلُقِ، لِأنه بذَلَ المَعروف.

ويدخلُ فِي بذلِ المَعروفِ: العفو عنِ الناسِ.

---

[3] رواه الترمذي (٢٠٠٥)، وصحح إسناده الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٩).

عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه: عن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **«ما نقَصت صدقَةٌ مِن مالٍ، وما زاد اللهُ عبدًا بِعفوٍ إلا عِزا، وما تواضع أحد لِلهِ إلا رفَعهُ اللهُ»**[٤].

العفو عن كُل من أساءَ إلَيك بِقَولٍ، أو فِعلٍ. والعفو: ترك المُؤاخذَةِ، مع السماحةِ عنِ المُسِيءِ، وهذَا إنما يكُونُ مِمن تحلى بِالأخلَاقِ الجَمِيلَةِ، وتخلى عنِ الأخلَاقِ الرذِيلَةِ، ومِمن تاجر مع اللهِ، وعفَا عن عِبادِ اللهِ، رحمةً بِهم، وإحسانا إلَيهم، وكَراهةً لِحصول الشر علَيهم، ولِيعفُو الله عنه، ويكُونَ أجره علَى ربِهِ الكَرِيمِ، لَا علَى العبدِ الفَقِير، كَما قَالَ تعالَى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) [الشورى: **٤٠**][٥]. أي يأجره علَى ذَلك لاَ محالَةَ، وأَبهم الأجر تعظِيما لِشأنِه، وتنبِيها علَى جلَالَتِه[٦].

وينبغِي أن يعلَم بِأن الإنسانَ إذَا عفَا عمن ظَلَمه فَقَد تقُولُ لَه نفسه: إن هذَا ذُل وخضوع وخذلَانٌ، «فَهذَا مِن خِداعِ النفسِ الأمارةِ بِالسوءِ ونهيِها عنِ الخَير، فَإن الله تعالَى يثِيبك علَى عفوِك هذا عِزا ورِفعةً فِي الدنيا والآخِرةِ»[٧]. وتنالُ مِن الكَرِيمِ الوهابِ: جمِيلَ الأجرِ، وجزِيلَ الثوابِ.

---

٤ رواه مسلم (٢٥٨٨).

٥ «تيسير الكريم الرحمن» (ص ١٧٩).

٦ «فتح البيان» (١٢/ ٣١٣).

٧ «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٢٨٤).

فَالعفو مِن المَخلُوقِ ظَاهِره ذُل، وباطِنه عِز ومهابةٌ، وِالِانتِقَام ظَاهِره عِز وباطِنه ذُل، فَما زاد اللّٰه بِعفوٍ إِلا عِزا، ولَا انتقَم أَحد لِنفسِهِ إِلا ذُل، ولِهذَا ما انتقَم رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم لِنفسِهِ قَط.

عن عقبةَ بنِ عامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقِيت رسولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لِي: «**يا عُقبةُ بن عامِرٍ! صِل من قَطَعك، وأَعطِ من حرمك، واعفُ عمن ظَلَمك**»[٨].

٣- كَف الأَذَى: وهو أَن يكُف الإِنسانُ أَذَاه عن غَيرِهِ بِالقَول والفِعلِ، فَمن لَم يكُف أَذَاه عنِ الخَلقِ فَلَيس بِحسنِ الخُلُقِ، بل هو سيئُ الخُلُقِ.

وقَد أَعلَن الرسولُ صلى الله عليه وسلم حرمةَ أَذِيةِ المُسلِمِ بِأَي نوعٍ مِن الإِيذَاءِ، وذَلِك فِي أَعظَمِ مجمعٍ اجتمع فِيهِ بِأُمتِهِ، حيثُ قَالَ: «**فَإِن دِماءَكُم، وأَموالَكُم، وأَعراضكُم بينكُم حرام، كَحُرمةِ يومِكُم هذَا، فِي شهرِكُم هذَا، فِي بلَدِكُم هذَا**»[٩].

فَالذِي يعتدِي علَى الناسِ بِالسب والغِيبةِ والنمِيمةِ، لَا يكُونُ هذَا حسن الخُلُقِ مع الناسِ، لِأَنه لَم يكُف أَذَاه، ويعظُم إِثمُ ذَلِك كُلما كَانَ موجها إِلَى من لَه حق علَيك أَكبر.

فَالإِساءَةُ إِلَى الوالِدينِ مثَلًا أَعظَم مِن الإِساءَةِ إِلَى غَيرِهِما، والإِساءَةُ إِلَى الأَقَارِبِ أَعظَم مِن الإِساءَةِ إِلَى الأَباعِدِ، والإِساءَةُ إِلَى الجِيرانِ أَعظَم مِن الإِساءَةِ إِلَى من لَيسوا

---

٨ رواه أحمد (٤/١٥٨)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٣٦).

٩ رواه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

جِيرانا لَك. ولِهذَا قَالَ النِبي صلى الله عليه وسلم: «**واللّهِ لَا يُؤمِنُ، واللّهِ لَا يُؤمِنُ، واللّهِ لَا يُؤمِنُ**» قِيلَ: ومن يا رسولَ اللّهِ؟ قَالَ: «**الذِي لَا يأمنُ جارُهُ بوائِقَهُ**»[10].

هذِهِ هِي الْأصولُ الثَلَاثَةُ اِلتي يدور علَيها حسن الخُلُقِ فِي معاملَةِ الخَلقِ.

الترغِيب فِي حسن الخُلُق

وكَفَى بِحسنِ الخُلُقِ شرفًا وفَضلًا، أنه مِن أفضل أعمالِ الصديقِين والصالِحِين، بِهِ تنالُ الدرجات، وترفَع المَقَامات.

وإن لِحسنِ الخُلُقِ وطِيبِ الشَيمِ فَضائِلَ عدِيدةً.

أولًا: الأمر بِهِ:

قَالَ تعالَى: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) [الأعراف: **199**].

فَلَو أخذَ الناس كُلهم بِهذِهِ الآيِة، لَكَفَتهم وشفَتهم.

(خذ العفو): أي: تحمل أخلَاقهم، وتقَبل مِنها ما سهلَ وتيسر، ولَا تستقص علَيهم.

(وأمر بالعرف): أي: بِكُل قَولِ حسنِ، وفِعلِ جمِيلِ، وخلُقٍ كَامِلِ لِلقَرِيبِ والبعِيدِ. إما تعلِيمِ عِلمِ، أو حث علَى خيرِ، مِن صِلَةِ رحِمِ، أو بِر والِدينِ، أو إصلَاحِ بين الناسِ، أو نصِيحةٍ نافِعةٍ، أو رأيِ مصِيبِ، أو معاونةٍ علَى بِر وتقوى، أو زجرِ عن قَبِيحِ، أو إرشادِ إلَى تحصِيل مصلَحةٍ دِينِيةٍ، أو دنيوِيةٍ.

---

[10] رواه البخاري (٦٠١٦).

(وأعرض عن الجاهلين): فَمن آذَاك بِقَولِهِ أو بِفعلِهِ لَا تؤذِهِ، ومن حرمك لَا تحرِمه، ومن قَطَعك فَصِله، ومن ظَلَمك فَاعدِل فِيه.

فَلِلّهِ ما أحلَى هذِهِ الأخلَاق، وما أجمعها لِكُل خيرٍ.

«ولَقَدِ استأذَنَ الحُر بن قَيسٍ لِعيينةَ بنِ حِصنٍ، فَأَذِنَ لَه عمر، فَلَما دخلَ علَيهِ، قَالَ: هِي (وهِي كَلِمةُ تهدِيدٍ) يا ابن الخَطابِ، فَواللّهِ ما تعطِينا الجَزلَ (يعنِي أنك بخِيلٌ)، ولَا تحكُم بيننا بِالعدلِ! (يعنِي أنك ظَالِم).

فَغضِب عمر حتى هم بِهِ (أي أراد)، فَقَالَ لَه الحُر: يا أَمِير المُؤمِنين! إِن اللّه تعالَى قَالَ لِنبيهِ صلى الله عليه وسلم:

(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)، وإِن هذَا مِن الجَاهِلين.

واللّهِ ما جاوزها عمر حِين تلَاها علَيهِ، وكَانَ وقافًا عِند كِتابِ اللّهِ»[11] (ممتثِلاً لِأحكَامِهِ لاَ يجاوزه).

وعن وهبِ بنِ كَيسانَ قَالَ: سمِعت عبد اللّهِ بن الزبيرِ يقُولُ علَى المِنبرِ: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) [الأعراف: ١٩٩] قَالَ: «واللّهِ! ما أمر بِها أن تؤخذَ إِلا مِن أخلَاقِ الناسِ، واللّهِ! لَآخذَنها مِنهم ما صحِبتهم»[12].

وعن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: **«اتق اللّه حيثُما كُنت، وأَتبِع السيئَةَ الحَسنةَ تمحُها، وخالِق الناس بِخُلُق حسنٍ»**[13].

---

[11] انظر: البخاري (٤٦٤٢).

[12] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (١٨٣).

قَولُه صلى الله عليه وسلم: «**وخالِق الناس بخُلق حسن**» هذا مِن خِصال التقوى، ولَا تتِم التقوى إلا بِهِ، وإنما أفرده بِالذكرِ لِلحاجةِ إلى بيانِهِ، فَإن كَثيرا مِن الناس يظُن أن التقوى هِي القِيام بِحق اللّهِ دونَ حقُوق عِبادِهِ، فَنص علَى الأمرِ بِإحسانِ العِشرةِ لِلناسِ، لِأن من يخالِطُ الناس، يحتاج إلى مخالَقَةِ الناسِ بِخلُقٍ حسنٍ.

ثَانِيا: حسن الخُلُقِ صِفَةُ المُؤمِنِين الكُملِ الخُلصِ

عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَكملُ المُؤمِنِين إِيمانًا أحسنُهم خُلقًا**»[١٤].

وإنما يكملُ إِيمانُ المَرءِ الذِي بِهِ ينالُ الفَوز فِي الدنيا والآخِرةِ، ويحوز جمِيع الخَيراتِ، ويبلُغُ أقصى المَنازِل وأَسمى الغاياتِ: بِحسنِ الخُلُقِ.

فَحسن الخُلُقِ إِيمانٌ وعدمه نقصانُ إِيمانٍ، والمُؤمِنونَ يتفَاوتونَ فِي إِيمانِهِم، فَبعضهم أَكملُ إِيمانا مِن بعضٍ، وكُلما كَانَ الإِنسانُ أحسن خلُقًا كَانَ أكملَ إِيمانا، وعلَى هذَا فَكُل من كَانَ نَاقِص الخُلُقِ فَهو نَاقِص الدينِ، فَكَمالُ الدينِ بِكَمالِ الخُلُقِ.

وهذَا الحَدِيثُ ينبغِي أن يكُونَ دائِما نصب عيني المُؤمِنِ؛ فَأكملُ المُؤمِنِين إِيمانا أحسنهم خلُقًا.

---

[١٣] رواه الترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٣).

[١٤] رواه أبو داود (٤٦٨٢)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٤١).

فَلن يكملَ إِيمانُ العبدِ حتى يحسن خلُقه. فَإِذَا أراد العبد أن يصِلَ إِلى هذِهِ الدرجةِ العالِيةِ - وهِي كَمالُ الإِيمان - فَعليهِ أن يجتهد فِي التحلي بِكُل خلُقٍ كَرِيمٍ، ويصرِف هِمته فِي البعدِ عن كُل خلُقٍ ذَمِيمٍ.

وعن عبدِ اللّهِ بنِ عمرٍو رضي اللّه عنهما قَالَ: لَم يكُنِ النبِي صلى الله عليه وسلم فَاحِشا ولَا متفَحشا، وكَانَ يقُولُ: «**إِن مِن خِيارِكُم أحسنكُم أخلَاقًا**»[١٥].

فَحسن الخُلُقِ ميدانٌ لِلتنافُسِ بين المُؤمِنين، فَمن سبق فِيهِ، كَانَ مِن خِيارِ المُؤمِنين وأكملهم إِيمانا.

إِن خيرِيةَ الرجل لَا تقَاس بِصلَاتِهِ وصِيامِهِ فَحسب، بل لَا بد مِن النظَرِ فِي أخلَاقِهِ وشِيمِهِ.

فَمن كَانَ حسن الخُلُقِ فِيهِ أكثَر، كَانَ خيره أكثَر.

ثَالِثًا: حسن الخُلُقِ مِن أعمالِ أهلِ الجَنةِ

عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: سئِلَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم عن أكثَرِ ما يدخِلُ الناس الجَنةَ؟ فَقَالَ: «**تقوى اللّهِ وحُسنُ الخُلُقِ**»[١٦].

فَقَد ذَكَر النبِي صلى الله عليه وسلم فِي هذَا الحَدِيثِ سببين لِدخول الجَنةِ: تقوى اللّهِ وحسن الخُلُقِ.

---

[١٥] رواه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

[١٦] رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وحسَّن إسناده الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٩).

«فَتقوى اللّٰهِ تصلِح ما بين العبدِ وبين ربهِ، وحسن الخُلُقِ يصلِح ما بينه وبين خلقِهِ: فَتقوى اللّٰهِ توجِب له محبةَ اللّٰهِ. وحسن الخُلُقِ يدعو الناس إلى محبتِهِ»[١٧].

عن أبي أمامةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: **«أنا زعِيم بِبيتٍ فِي ربض الجَنةِ لِمن ترك المِراءَ وإن كَانَ مُحِقا، وبِبيتٍ فِي وسطِ الجَنةِ لِمن ترك الكَذِب وإن كَانَ مازِحًا، وبِبيتٍ فِي أعلى الجَنةِ لِمن حسن خُلُقُهُ»**[١٨].

فَجعلَ البيت العلوي جزاءً لِأعلى المَقَاماتِ الثَلَاثَةِ وهِي حسن الخُلُقِ، والأوسطَ لِأوسطِها وهو ترك الكَذِبِ، والأدنى لِأدناها وهو ترك المُماراةِ وإن كَانَ معه حق، ولَا ريب أن حسن الخُلُقِ مشتمِلٌ على هذَا كُلِهِ.

رابِعا: حسن الخُلُقِ يبلُغُ بِهِ العبد درجاتِ المُجتهِدِين فِي العِبادةِ

عن عائِشةَ رضي اللّٰه عنها قَالَت: سمِعت رسولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ: **«إن المُؤمِن لَيدرِكُ بِحُسنِ خُلُقِهِ درجةَ الصائِمِ القَائِمِ»**[١٩].

تأملُوا الأثَرَ العظِيم والثواب الجَزِيلَ لِهذِهِ المَنقَبةِ المَحمودةِ، والخَصلَةِ الطيبةِ.

إن مِن أعلَى الناسِ درجةً: الصائِم بِالنهارِ، القَائِم بِالليلِ، فَكَيف يغفَلُ عن عِبادةٍ تعدِلُ ذَلِك؟

---

[١٧] «الفوائد» (ص٢١٠).

[١٨] رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسَّنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٧٩).

[١٩] رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٧٨).

فَيا ترى ما هو السر ِفي وصول من كَانت أخلَاقُه حسنةً، ِإلَى درجةِ قَائِمِ الليلِ وصائِمِ النهارِ؟

فَالسر يكمن ِفي أن صاحِب الخُلُقِ الحَسنِ أُعطِي هذَا الفَضلَ العظِيم؛ ِلأَن الصائِم القَائِم يجاهِد نفسا واحِدةً وهِي نفسه، فَعظُم قَدره وعلَت رتبته ِلمجاهدتِهِ نفسه؛ وذُو الخُلُقِ الحَسنِ يجاهِد نفسه وأنفُسا كَثِيرةً ِممن يعاشِرهم ويعاشِرونه، فَيتحملُ أثقَالَ نفسِهِ وأثقَالَ غَيرِهِ، وهو جِهاد كَبِير، فَأدرك هذَا ِبحسنِ خلُقِهِ درجةَ الصائِمِ القَائِمِ.

خامِسا: حسن الخُلُقِ أثقَلُ شيءٍ ِفي اِلميزانِ:

عن أَِبي الدرداءِ رضي الله عنه قَالَ: سمِعت النِبي صلى الله عليه وسلم يقُولُ: «**ما ِمن شيءٍ يُوضعُ ِفي اِلميزان أثقَلُ ِمن حُسن الخُلُق**»[20].

وما ِمن مسلِمٍ ِإلا ويتمنى أن يثقُلَ ِميزانُ حسناتِهِ يوم القِيامةِ، ِليكُونَ سببا ِلنجاتِهِ.

فَاحرِص - رحِمنِي اللّٰه وِإياك - علَى تثقِيلِ ِميزاِنك ِبتحسِينِ أخلَاِقك ومجاهدةِ نفسِك.

سادِسا: حسن الخُلُقِ سبب ِلمحبةِ الرسول صلى الله عليه وسلم

عن جاِبرٍ رضي الله عنه: أن رسولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**ِإن ِمن أحبكُم ِإلَي وأقربكُم ِمني مجلِسًا يوم القِيامةِ: أحاسِنكُم أخلَاقًا، وِإن أبغضكُم ِإلَي وأبعدكُم**

[20] رواه الترمذي (٢٠٠٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٩).

مِني مجلِسًا يوم القِيامةِ: الثرثَارُون والمُتشدقُون والمُتفَيهقُونَ» قَالُوا: يا رسولَ اللَّهِ، قَد عِلِمنا الثرثَارونَ والمُتشدقُونَ، فَما المُتفَيهقُونَ؟ قَالَ: «المُتكَبرُونَ»[21].

الثرثَارُ: هو كَثِير الكَلَامِ بِغير فَائِدةٍ دِينِيةٍ، والمُتشدق: المُتكَلم بِمِلء فِيهِ تفَاصحا وتعاظُما وتطَاولًا، وإِظهارا لِفَضلِهِ علَى غَيرِهِ، وأَصلُه مِن الفِهقِ: وهو الِامتِلَاءُ.

سابِعا: حسن الخُلُقِ سبب فِي محبةِ اللهِ جل جلَالُه لِعبدِهِ:

عن أُسامةَ بنِ شرِيكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنا جلُوسا عِند النِبي صلى الله عليه وسلم كَأَنما علَى رؤوسِنا الطير، لَا يتكَلم مِنا متكَلم، إِذ جاءَه ناس مِن الأَعرابِ... قَالُوا: فَمن أَحب عِبادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَحسنُهُم خُلُقًا**»[22].

ثَامِنا: حسن الخُلُقِ يحصلُ فِيهِ الخَير الكَثِير

عنِ النواسِ بنِ سمعانَ الأَنصارِي رضي الله عنه قَالَ: سأَلت رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عنِ البِر والإِثمِ؟ فَقَالَ: «**البِر حُسنُ الخُلُق، والإِثمُ ما حاك فِي صدرِك، وكَرِهت أَن يطلِع علَيهِ الناسُ**»[23].

البِر: كَلِمةٌ تدل علَى كَثرةِ الخَيرِ والإِحسانِ، ومِنه: البر بِالفَتحِ مِن أَسماءِ اللَّهِ تعالَى، لِأَنه تعالَى كَثِير الخَيراتِ، جزِيلُ العطَايا والهِباتِ.

---

[21] رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٨٥).

[22] رواه الحاكم (٤/ ٤٠٠ رقم ٨٢١٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٢).

[23] رواه مسلم (٢٥٥٣).

فَالبِر اسم جامِع لِأنواعِ الطاعاتِ والقُرباتِ، ومِنه بِر الوالِدين، وهو استِرضاؤهما بِكُل ما أمكَن.

فَقَد أخبر النِبي صلى الله عليه وسلم أن البِر حسن الخُلُقِ، أي: مِن أعظَمِ خِصالِ البِر: حسن الخُلُقِ، كَقَولِهِ صلى الله عليه وسلم: «**الحَج عرفَةُ**»[24]، و«**الدينُ النصِيحةُ**»[25] ولَيس المَعنى أن البِر محصور فِي حسنِ الخُلُقِ، ولَكِن حسن الخُلُقِ مِن أعظَمِ خِصالِ البِر؛ وهذَا يدل علَى أن حسن الخُلُقِ هو الدين كُله، وهو حقَائِق الإِيمانِ، وشرائِع الإِسلَامِ، ولِهذَا قَابلَه بِالإِثمِ.

تاسِعا: حسن الخُلُقِ سبب لِاستِيعابِ الناسِ:

عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه: عنِ النِبي صلى الله عليه وسلم [قَالَ]: «**إِنكُم لَن تسعُوا الناس بِأموالِكُم، ولَكِن يسعُهُم مِنكُم: بسطُ الوجهِ، وحُسنُ الخُلُقِ**»[26].

وفِي هذَا دلَالَةٌ بينةٌ علَى أثَرِ بسطِ الوجهِ وحسنِ الخُلُقِ فِي الناسِ.

«الناس كَثِيرونَ، والمَالُ قَلِيلٌ، مالُك لَا يغطي كُل الناسِ، بل ولَا قَلِيلًا مِن الناسِ، ولَكِن هنا شيءٌ يغطي الناس، ويشملُ الناس: وهو حسن الخُلُقِ، وهذَا سهلٌ علَيك، بشاشةُ الوجهِ، وطَلَاقَةُ الوجهِ، وحسن الخُلُقِ مع الناسِ، تستطِيع أن تتعاملَ مع الناسِ كُلِهم

---

[24] رواه الترمذي (٨٨٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ٤٥٩).

[25] رواه مسلم (٥٥).

[26] رواه البزار «كشف الأستار» (١٩٧٨)، وحسَّنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٦١).

مِن بِني آدم ِبحسنِ الخُلُقِ»[27]؛ ِببسطِ الوجهِ، والطلاَقَةِ، والبشاشةِ، ولِينِ الجَانِبِ، وخفضِ الجَناحِ، ونحوِ ذَلِك مِما يجلِب التحاب بينكُم.

كَم يحتاج الناس مِنا إِلَى حسنِ خلُقٍ؟! إِننا لَن نسع الناس ِبأموالِنا ولَا ِبجاهِنا، ولَكِن يسعهم مِنا حسن أخلَاقِنا. لَا يرِيد من يتعاملُ معنا مِنا إِلا الكَلِمةَ الطيبةَ، والِابتِسامةَ الجَمِيلَةَ، والتعامِي عنِ الهَفوةِ، وتلَمس العذرِ.

عاشِرا: حسن الخُلُقِ يعمر الديار:

عن عائِشةَ رضي الله عنها: أن النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ لَها: «**... وصِلَةُ الرحِمِ، وحُسنُ الخُلُقِ، وحُسنُ الجِوارِ: يُعمران الديار، ويزِيدان فِي الأعمارِ**»[28].

فَيا من حرصت علَى طُولِ العمرِ وعِمارةِ الديارِ، سارِع إِلَى حسنِ الخُلُقِ وصِلَةِ الرحِمِ.

الحَادِي عشر: حسن الخُلُقِ خير عطَاءٍ:

عن أُسامةَ بنِ شرِيكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا (أي: الأعراب): يا رسولَ اللَّهِ! ما خير ما أُعطِي العبد؟ قَالَ: «**خُلُق حسن**»[29].

[27] «تسهيل الإلمام» (٦/ ٣٠٦)، للعلَّامة الفوزان.

[28] رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٢٤).

[29] رواه ابن ماجه (٣٤٣٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٧٨٩).

أي: ما من اللّه علَى أحدٍ ـِعطَاءٍ ـِمن ـِرزقٍ، أو غَيرِهِ؛ خيرا ـِمن خلُقٍ حسنٍ. فَإِذَا كَانَ الإِنسانُ قَد من اللّه علَيهِ ـِبالخُلُقِ الحَسنِ؛ فَهذَا خير ما يعطَاه الإِنسانُ. ـِلأَن الإِنسانَ ـِإنما يحوز جمِيع الخَيراتِ، ويبلُغُ أقصى المَنازِلِ، وأَ ـَى الغاياتِ ـِبحسنِ الخُلُقِ. ومن حرِم حسن الخُلُقِ، فَقَد حرِم الخَير الكَثِير.

الثانِي عشر: حسن الخُلُقِ أَفضلُ الأَعمالِ:

عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه: عنِ النبِيِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**ما عمِلَ ابنُ آدم شيئًا أَفضلَ ـِمن الصلاَةِ، وصلاَح ذَاتِ البينِ، وخُلُقٍ حسنٍ**»[30].

وهذِهِ فَضِيلَةٌ عظِيمةٌ، ومثُوبةٌ جلِيلَةٌ، تقتضِي ـِمن كُل راغِبٍ ـِفي ثَوابِ اللهِ، وطَامِعٍ ـِفيما عِنده ـِمن الخَيرِ، أن يتصِف ـِبحسنِ الخُلُقِ.

هذِهِ فَضائِلُ حسنِ الخُلُقِ، فَلنجتهد ـِفي تحسِينِ أخلَاقِنا، ـِلنحرِز ـِتلك الفَضائِلَ العظِيمةَ والدرجاتِ الرفِيعةَ والأُجور الوفِيرةَ، فَقَد صدق من قَالَ:

لَو أَنِني خُيرتُ كُل فَضِيلَةٍ
ما اخترتُ غَير محاسِنِ الأَخلَاقِ

فَوائِد حسنِ الخُلُقِ

حسن الخُلُقِ عملٌ جلِيلُ القَدرِ، وعظِيم الأَثَرِ، وكَثِير النفعِ، ينتج عنه أقوالٌ وأفعالٌ جمِيلَةٌ وثِمار كَثِيرةٌ؛ ـِمنها ما هو ـِفي الدنيا، ومِنها ما يكُونُ ـِفي الآخِرةِ، ولَا شك أن ما

---

[30] أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٦٣)، وصححه بشاهده الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٤٤٨).

يكُونُ فِي الآخِرةِ أعظَم وأجل، فَما استجلِب خير الدنيا والآخِرةِ بِمِثل حسنِ الخُلُقِ، ولَا استجلِب حِرمانها بِمِثل سوءِ الخُلُقِ.

ولَقَد ذَهب حسن الخُلُقِ بِخيري الدنيا والآخِرةِ.

فَمِن ثِمارِ حسنِ الخُلُقِ فِي الدنيا:

أَوّلًا: أنهُ امتِثَالٌ لِأمرِ اللّهِ عز وجل، قَالَ تعالَى: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) [الأعراف: **١٩٩**].

ثَانِيًا: أنهُ طَاعةٌ لِرسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم، كَما قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**وخالِق الناس بِخُلُق حسنٍ**»[٣١].

ثَالِثًا: كَسبُ القُلُوبِ: فَإِذَا حسنت أَخلَاق الإِنسانِ كَثُر مصافُوه، وقَل معادوه، فَتسهلَت علَيهِ الْأمور الصعاب، ولَانت لَه القُلُوب الغِضاب، ولَهجتِ الأَلسِنةُ بِالثناءِ علَيهِ.

بِمكَارِمِ الأَخلَاقِ كُن مُتخلقًا

لِيفُوح مِسكُ ثَنائِك العِطر الشذِي

كُن خلُوقًا تنل ذِكرا جمِيلًا.

عنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَهلُ الجَنةِ من ملَأَ اللّهُ أُذُنيهِ مِن ثَناءِ الناس خيرًا، وهُو يسمعُ؛ وأَهلُ النارِ من ملَأَ أُذُنيهِ مِن ثَناءِ الناس شرا، وهُو يسمعُ**»[٣٢].

---

[٣١] رواه الترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٣).

[٣٢] رواه ابن ماجه (٤٢٢٤)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٧٤٠).

كأنه يقولُ: من لا يزالُ يعملُ الخَير حتى ينتشِر عنه فِي الناسِ، فيثنون علَيهِ بِأفعالِهِ الحَسنةِ وأخلَاقِهِ الحَمِيدةِ، ولَا يزالُ يفعلُ الشر حتى ينتشِر عنه فِي الناسِ، فيثنونَ علَيهِ بِأفعالِهِ السيئَةِ، وأخلَاقِهِ السيئَةِ، يدل علَى ذَلِك قَولُه صلى الله عليه وسلم: «**وهُو يسمعُ**»، أي: يبلُغه ذَلِك الثناءُ ويسمعه لِانتِشارِهِ فِي الناسِ.

ولِذَلِك قَالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِن أحبكُم إلي أحاسِنُكُم أخلَاقًا، الموطَّؤُونَ أكنافًا، الذِين يألَفُونَ ويُؤلَفُونَ**»[33].

رابِعًا: السلَامةُ مِن شر الخَلق: لِأن صاحِب الخُلُقِ الحَسنِ لَا يقَابِلُ الإِساءَةَ بِالإِساءَةِ، بل يعفُو ويصفَح ويعرِض عن من جهلَ علَيهِ، بل ربما قَابلَ الإِساءَةَ بِالإِحسانِ، ولَو جارى الناس فِي سفَههِم، لَما كَانَ لَه فَضلٌ علَيهِم، ولَما سلِم مِن أذَاهم؛ فَلَو لَم يأتِ مِن حسنِ الخُلُقِ إِلا هذِهِ الفَائِدةُ، لَكَانَ حريا بِالعاقِلِ أن يتحلى بِهِ.

لَا تندم علَى حسنِ الخُلُقِ، ولَو أساءَ إِلَيك الناس؛ فَلَأن تحسِن ويسِيئوا، خير مِن أن تسِيءَ ويسِيئوا.

فَعن جابِرِ بنِ سلَيمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**... وإِن امرُؤ شتمك وعيرك بِأمرٍ يعلَمُهُ فِيك، فَلَا تعيرهُ بِأمرٍ تعلَمُهُ فِيهِ، فَيكُونَ لَك أجرُهُ وعلَيهِ إِثمُهُ، ولَا تشتِمن أحدًا**»[34].

---

[33] رواه الطبراني في «الصغير» (٨٣٥)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٥٨).

[34] رواه أحمد (٥/ ٦٣)، وأبو داود (٤٠٨٤). وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٨٢).

خامِسًا: حُسنُ الخُلُق ُيغطي عَيرهُ مِن القَبائِح، كَم مِن حُسنٍ ِفي الخُلُق غَطى عيبًا ِفي الخَلق.

قَد يختِلف الكِثيرونَ ِفي آرائِهم حولَ الجَمالِ ومعاِييرِه، ولَكِن لَا يختِلف اثنانِ علَى أن الخُلُق الحَسن ِفي حد ذَاِتِه جمالٌ يزين صاحِبه.

لَيس الجَمالُ ِبأثوابٍ ُتزيُننا
ِإن الجَمالَ جمالُ الخُلُق
ِلكُل شيءٍ زينةٌ ِفي الورى
وزينةُ المَرءِ حُسنُ الخُلُق

وإن المُتصِف ِبحسنِ الخُلُق، كَالجَوهِرِ المَكنونِ ِفي الوِعاءِ، ولَن يتزين ِإنسانٌ ِبزينةٍ هِي أ ى ولَا أجملُ مِن حسنِ الخُلُق؛ فَلَا يكُونُ ِفي شيءٍ ِإلا زينه وجملَه وحسنه، ولَا ي َع مِن شيءٍ ِإلا شانه وعابه وقَبحه.

وهل ينفَعُ الِفتيانَ حُسنُ وُجُوِهِهمُ
ِإذَا كَانتِ الأخلَاقُ غَير حِسانِ

سادِسًا: صاحِبُ الخُلُق الحَسنِ يكُونُ مِفتاحًا ِللخيرِ مِغلَاقًا ِللشر، ساعِيا ِفي الخَيرِ ِبحسبِ ِإمكَانِه. يحث علَى الجُودِ والكَرمِ والسماحةِ. يتنوّع ِفي ِفعلِ المَعروفِ ِفي بدِنِه وقَوِلِه وماِلِه. يِعين العِباد ِفي مقَاِلِه وحاِلِه علَى طَاعةِ اللّهِ.

عن أنسِ بنِ ماِلكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**ِإن مِن الناس مفَاِتيح ِللخيرِ، مغاِليق للشر، وإن مِن الناسِ مفَاِتيح للشر، مغاِليق للخيرِ، فَطُوبى**

لِمن جعلَ اللهُ مفَاتِيح الخَيرِ على يديهِ، وويلٌ لِمن جعلَ اللهُ مفَاتِيح الشر على يديهِ»[٣٥].

وعنه رضي الله عنه قَالَ: أَتى علَي رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وأَنا أَلعب مع الغِلمانِ، فَسلم علَينا، فَبعثَنِي إِلَى حاجةٍ، فَأَبطَأت علَى أُمي، فَلَما جِئت قَالَت: ما حبسك؟ قُلت: بعثَنِي رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِحاجةٍ، قَالَت: ما حاجته؟ قُلت: إِنها سِر؟ قَالت: لَا تحدثَن بِسِرِ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحدا[٣٦].

انظُر كَيف كَانتِ الْأمهات المُسلِمات يربين أَبناءَهن علَى تقوى اللَّهِ وحِفظِ أَسرارِ الخَلقِ، إِنها تقُولُ له: لَا تحدثَن بِسِرِ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحدا.

فَلننظُر لِرجالِنا ونسائِنا وأَبنائِنا: كَيف هم وحِفظَ الأَسرارِ؟! ثُم لنبكِ الدموع!

كَم مِن أَسرارٍ أَصبحت أَخبارا! وكَم مِن الأَسرارِ صارت قَصصا، رآها الناس مِن أَحسنِ القَصصِ! فَلَا حولَ ولَا قُوةَ إِلا بِاللَّهِ[٣٧].

سابِعًا: صاحِبُ الخُلُق الحَسن تُحرمُ النارُ علَيهِ:

عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: عنِ النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «من كَانَ سهلًا لَينًا قَرِيبًا، حرمهُ اللَّهُ علَى النارِ»[٣٨].

---

[٣٥] رواه ابن ماجه (٢٣٧)، وحسنه الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٣٣٢).

[٣٦] رواه مسلم (٢٤٨٢).

[٣٧] «حصائد الألسن» (ص ٩٢ - ٩٣).

ثامنًا: الخُلُقُ الحَسَنُ: جمالٌ فِي الدنيا، ورفعةٌ فِي الآخِرةِ. وقيمةُ المَرءِ بِأخلَاقِهِ وسجاياه الحَمِيدةِ، وفِي الأخلَاقِ العِزةُ والكَرامةُ لِمن يتحلى بِها، فَما أكثَر الذِين رفَعتهم أخلَاقُهم الطيبةُ فِي أوساطِ مجتمعِهم، ولَم يكُن لَهم مالٌ أو عِلم أو جاه، وما أكثَر الذِين أخزاهم سوءُ أخلَاقِهم، فَرب عزِيزٍ أذَله خلُقُه، ورب ذَلِيلٍ أعزه خلُقُه. فَمِن سعادةِ المَرءِ: حسن الخُلُقِ، ومِن شقَاوتِهِ: سوءُ الخُلُقِ.

تاسِعًا: صاحِبُ الخُلُقِ الحَسنِ مُستريحُ القَلبِ، مطمئِن النفسِ، قَد وطن نفسه علَى ما يصِيبه مِن الناسِ مِن الأذَى، وقَد وطن نفسه أيضا علَى إِيصالِ النفعِ إِلَيهم بِكُل مقدورِهِ، وقَد تمكن مِن إِرضاءِ الكَبِيرِ والصغيرِ والنظِيرِ، وقَد تحملَ من لَا تحمِلُه مِن ثِقَلِهِ الجِبالُ، وقَد خفت عنه الأثقَالُ، وقَدِ انقَلَب عدوه صدِيقًا حمِيما، وقَد أَمِن مِن فَلَتاتِ الجَاهِلِين ومضرةِ الأعداءِ أجمعِين، وقَد سهلَ علَيهِ مطلُوبه مِن الناسِ، وتيسر لَه نصحهم وإِرشادهم[39].

وكَذَلِك من آذَاه الخَلق بِالأقوالِ البشِعةِ وصانَ لِسانه عن مشاتمتِهم، ودافَع عن نفسِهِ بِرفقٍ ولِينٍ، اندفَع عنه مِن أذَاهم ما لَا يندفِع بِمقابلَتِهم بِمِثل مقَالِهم وفِعالِهم، ومع ذَلك: فَقَد كَسب الراحةَ والطمأنِينةَ والرزانةَ والحِلم[40]. فَما أطيب عيشه! وما أنعم بالَه! وما أقَر عينه[41].

---

[38] رواه أبو يعلى (٥٠٦٠)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٩٣٨).

[39] «مجموع الفوائد» (ص ١١٣).

[40] «المجموعة الكاملة» (٣/ ٢٤٥).

وبالجملة: فإن صاحب الخلق الحسن له التأثير العظيم في حصول المراد من أقوالٍ وأفعالٍ، وله الوقع الكبير في التحبب إلى الناس، وإزالة ما في قلوبهم من بغضٍ وغلٍ وحقدٍ، وجلبِ خواطرهم إلى مطلوبك الديني والدنيوي.

فحري بكل واحدٍ منا أن يراجع نفسه: هل هو حسن الخلق أم سيئُ الخلق؟ في البيتِ والمسجدِ والسوق، والشارعِ والعمل ونحو ذلك.

مظاهر سوءِ الخلق

سوءُ الخلق: هو قبحه، ومساوئ الأخلاق: منكراتها، وقبائحها؛ وهو بذلُ القبيح وكف الجميل، والتحلي بالرذائل والتخلي عن الفضائل.

وسوءُ الخلقِ يأخذُ مظاهر عديدةً، ويبرز في صورٍ شتى، أكتفي بذكر تسعةٍ منها:

أولًا: الغلظةُ والفظاظةُ: فنجد من الناسِ من هو فظ غليظٌ، لا يتكلم إلا بالعباراتِ النابية القاسية التي تحملُ في طياتها الخشونةَ والشدةَ، والغلظةَ والقسوةَ، وقد يصاحب ذلك عبوس الوجهِ وتقطيب الجبين، فبعضهم لا تراه إلا عابس الوجهِ مقطب الجبين، لا يعرف التبسم واللباقةَ، ولا يوفق للبشرِ والطلاقةِ، بل إنه ينظرُ إلى الناسِ شزرا، ويرمقهم غيظًا وحنقًا.

---

[41] «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٩٦).

قَالَ اللّٰه تعالَى: (ولو كنت فظّا غليظ القلب لانفضوا من حولك) [آل عمران: ١٥٩].

«فَإِذَا كَانَ هذَا شأنُ النبِي صلى الله عليه وسلم مع أصحابِهِ فِيما لَو تعاملَ بِالغِلظَةِ، وما ينشأُ عنه مِن انفِضاضِ أصحابِهِ، فَكَيف إِذَا تعاملَ بِذَلِك من هو دونه مع من هو دونهم؟! وقَد رأيت - يرحمك اللّٰه - كَيف بعد الناس عن الدينِ؟! فَالرفق الرفق واللين اللين»[٤٢].

ثَانِيًا: الكِبرُ: فَهناك من يتكبر فِي نفسِهِ، ويتعالَى علَى الناسِ، فَلَا يرى لِأحدٍ قَدرا.

عن عبدِ اللّٰهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه: عنِ النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: **«لَا يدخُلُ الجَنةَ من كَانَ فِي قَلبِهِ مِثقَالُ ذَرةٍ مِن كِبرٍ»**[٤٣].

ثَالِثًا: مُقَابلَةُ الناس بِوجهينِ: وما أكثَر هؤلَاءِ الذِين عاثُوا فِي الأَرضِ فَسادا! فَتجِد مِن الناسِ من يظهر لِجلِيسِهِ المُوافَقَةَ والمَودةَ، ويلقَاه بِالبِشرِ والترحابِ، فَإِذَا ما توارى عنه سلَقَه بِلسانٍ حاد، وشتمه وأقذَع فِي سبِهِ! وهذِهِ الصفَةُ مِن أخس الصفَاتِ، وصاحِبها مِن شر الناسِ وأوضعِهِم، قَالَ رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: **«تجِدُونَ شر الناس ذَا الوجهينِ: الذِي يأتِي هؤُلَاءِ بِوجهٍ، ويأتِي هؤُلَاءِ بِوجهٍ»**[٤٤].

---

[٤٢] «شرح صحيح الأدب المفرد» (٢/ ٧٥).

[٤٣] رواه مسلم (٩١).

[٤٤] رواه البخاري (٣٤٩٤)، ومسلم (٢٥٢٦).

نعم! لَقَد وصفَه رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ِبذِي الوجهينِ، وأخبر أنه ِمن شِرارِ الخَلقِ؛ ِلعِظَمِ جرمِهِ وفَسادِ طَوِيتِه، وخبثِ محاولَاتِه، وبشاعةِ مواقِفِه، وفَسادِ صنِيعِه.

عن عمارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سمِعت النِبي صلى الله عليه وسلم يقُولُ: «**من كَانَ ذَا وجهينِ ِفي الدنيا، كَانَ لَهُ ِلسانانِ يوم القِيامةِ ِمن نارٍ**» فَمر رجلٌ كَانَ ضخما، قَالَ: «**هذَا ِمنهُم**»[٤٥].

أَلَا فَليتدبروا هذَا الحَدِيثَ حِينما ينافِقُونَ ويفتِنونَ وينمونَ، (فبأي حديث بعده يؤمنون)؟! [المرسلات: **٥٠**].

رابِعًا: التهاجُرُ والتدابُرُ بين المُسلِمِين: فَبِمجردِ اختِلَافٍ يسِيرٍ حولَ عرضٍ ِمن الدنيا لَا يترتب علَيهِ فَساد ِفي الدينِ، عِند ذَِلك تجِد من يولي ظَهره ِلأَخِيهِ، ويهجره ويقطَع أَواصِر المَحبةِ والأُخوةِ والقَرابةِ؛ قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَا تقَاطَعُوا، ولَا تدابرُوا، ولَا تباغَضُوا، ولَا تحاسدُوا، وكُونُوا عِباد اللّهِ ِإخوانًا، ولَا يحِل ِلمُسلِمٍ أَن يهجُر أَخاهُ فَوق ثَلَاثٍ**»[٤٦].

خامِسًا: المَن ِبالعطِيهِ ونحوها: فَمِن الناسِ من ِإذَا أَعطَى عطَاءً أَو شفَع ِفي أَمرٍ ما، أَو بذَلَ نصِيحةً أَو أَسدى معروفًا: أَتبعه ِبالمَن والأَذَى، والإِدلَالِ علَى من أَحسن ِإلَيهِ؛ وذَِلك الصنِيع خلُق ساقِطٌ، لَا يلِيق ِبأُولِي الفَضلِ، قَالَ تعالَى: (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) [البقرة: **٢٦٤**].

---

[٤٥] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٠)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٩٨٨).

[٤٦] رواه الترمذي (١٩٣٥)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٥٥).

أفسدت بِالمَن ما أسديت مِن حُسنٍ

لَيس الكَرِيمُ إِذَا أسدى بِمنان

سادِسًا: سُوءُ العِشرةِ مع الزوجةِ: فَهناك من يتعاملُ مع سائِرِ الناسِ بِأدبٍ ورِقةٍ، فَتراه فِي المَجالِسِ بشوشا، حسن الخُلُقِ، ينتقِي مِن الكَلَامِ أطَايِبه، ومِن الحَدِيثِ أعذَبه، فَإِذَا ما دخلَ المَنزِلَ تبدلَت حالُه، وذَهبت وداعته، وتولت سماحته، وحلت غِلظَته وبذَاءَته وفَظَاظَته، فَانقَلَب أسدا علَى زوجِهِ الضعِيفَةِ المِسكِينةِ، فَتراه يسِيءُ الأدب معها، وتصدر مِنه العِبارات القَاسِيةُ المُؤلمةُ: يحملُها مسؤولِيةَ كُل شيءٍ، ويغلظُ فِي عِتابِها عِند أدنى خطَإٍ، يهددها بِالطلَاقِ عِند كُل صغِيرةٍ وكَبِيرةٍ، وربما قَصر علَيها فِي النفَقَةِ.

وهذَا خطَأٌ عظِيم، فَإِن أهلَك أحق بِحسنِ الخُلُقِ، أحسِنِ الخُلُق معهم لِأنهم هم الذِين معك لَيلًا ونهارا، سِرّا وعلَانِيةً، إن أصابك شيءٌ أُصِيبوا معك وإِن سرِرت سروا معك، وإِن حزِنت حزِنوا معك، فَلتكُن معاملَتك لَهم خيرا، فَخير الناسِ خيرهم لِأهلِهِ.

قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**أكملُ المُؤمِنين إِيمانًا أحسنُهُم خُلُقًا، وخِيارُكُم خِيارُكُم لِنسائِهِم خُلُقًا**»[٤٧].

وفِي المُقَابِلِ: تجِد أن بعض الزوجاتِ لَا تحسِن التودد لِزوجِها، ولَا تقُوم بِحقُوقِهِ كَما أراد اللّٰه مِنها، بل تراها تسِيءُ الأدب معه، وترفَع صوتها علَيهِ، وتثقِلُ كَاهِلَه بِكَثرةِ الطلَباتِ، وتستنزِف مالَه بِالإِغراقِ فِي الكَمالِياتِ، تراها كَثِيرةَ الشكوى والتأففِ، تنسى

---

٤٧ رواه الترمذي (١١٦٢)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ٥٩٤).

معروفَه وتذكُر ِإساءَته، لَا يروق لَها ما يفعلُه زوجها، بل ربما عوقَته وخذَلَته عن ِبرِهِ ِبوالِديِه، وأعانته علَى قَطِيعةِ الرحِمِ، وعقُوقِ الوالِدين.

ساِبعًا: التقصِيرُ ِفي حُقُوق الِإخوان: وِمن مظَاهِرِ ذَِلك: ِقلةُ تعاهدِهِم: فَترى بعضهم لَا يسأَلُ عن ِإخواِنهِ ورفَقَاِئهِ، ولَا يحرِص علَى زِيارِتهم وصِلَتِهم، ولَا يرد علَى مكَالَماِتهم، ولَا يسعى ِفي تجدِيدِ المَودةِ.

وِمن التقصِيرِ ِفي حق الِإخوانِ: التنكر وِقلةُ الوفَاءِ، فَمِن الناسِ من لَا يعرِف ِإخوانه ِإلا ِفي الرخاءِ، فَِإذَا ما وقَع أخ لَه ِفي شِدةٍ وضاِئقَةٍ، واحتاج ِلمعروِفهِ ومساعدِتهِ: تنكر لَه وخذَلَه، ونسِي ما كَانَ بينهما ِمن مودةٍ؛ وِمن التنكرِ وِقلةِ الوفَاءِ: ما تجِده ِعند بعضِ الناسِ، فَما أن ينالَ عرضا ِمن أعراضِ الدنيا: كَمالٍ أو جاهٍ أو منصِبٍ: ِإلا ويتنكر ِلأصحاِبهِ القُدامى، وينساهم أو يتناساهم، وما هذَا ِمن أخلَاقِ الكِرامِ.

ثاِمنًا: ِإساءَةُ الظن: وِهي ِمن الأَخلَاقِ الذِميمةِ، اِلتي تجِلب الضغاِئن، وتفسِد المَودةَ وتورِثُ الهَم والحَزنَ، وِلهذَا نهى اللّٰه عنها فَقَالَ: (يا أيها الذين آمنوا اجتنوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) [الحجرات: **٢١**]، وقَالَ النِبي صلى الله عليه وسلم: **«ِإياكُم والظن، فَِإن الظن أكذَبُ الحَدِيثِ»**[٤٨]. فَتجِد ِمن الناسِ من هو سيئُ الظن، يحسب كُل صيحةٍ علَيِه، وكُل مكروهٍ قَاصِدا ِإلَيِه، وأن الناس لَا هم لَهم ِإلا هو، وأنهم يكِيدونَ لَه كَيدا ويتربصونَ ِبهِ الدواِئر.

وِمن صُورِ سُوءِ الظن ِعند بعضِهم:

---

[٤٨] رواه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

ِإذَا رأى اثنينِ يتناجيانِ ظَن أنه هو المَقصود ِبالنجوى، وأنه المُتحدثُ عنه.

وِإذَا سمِع ذَما عاما ِلخصلَةٍ مِن الخِصالِ، ظن أنه هو المَقصود ِبالذم.

وِإذَا كَانَ هناك وِليمةٌ عِند أحدِ أقَارِبِهِ أو أصدِقَائِهِ، فَنسِي صاحِب الوِليمةِ أن يدعوه: أساءَ ِبِهِ الظن، واتهمه ِباحِتِقَارِهِ وعدمِ المُبالَاةِ ِبِهِ.

ِإذَا رأى أحدا يمشِي حولَه، ظَن أنه يراقِبه ويترصد لَه.

حرِي ِبالمُسلِمِ أن يستعِيذَ ِباللّهِ مِن وساوِسِ الشيطَانِ هذِهِ، وأن يمضِي ِفي سِبيلِ اللّهِ، ويحسِن الظن ِبِإخوانِهِ المُسلِمين، وأن يحمِلَهم علَى أحسنِ المَحامِلِ، ولَا يدخلَ ِفي سوءِ الظن المَذمومِ.

وخير لَنا أن نترك الظنونَ السيئَةَ كُلها، ونشتغِلَ ِبما يعود علَينا ِبالخَيرِ ِفي دِيِننا ودنيانا وآخِرتِنا.

تاسِعًا: الغِيبةُ: ِتلك الخَصلَةُ الذمِيمةُ، وهِي كَما جاءَ ِفي الحَدِيثِ: عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه: أن رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**أتدرُونَ ما الغِيبةُ؟**» قَالُوا: اللّه ورسولُه أعلَم، قَالَ: «**ذِكرُك أخاك ِبما يكرهُ**» ِقيلَ أفَرأيت ِإن كَانَ ِفي أخِي ما أقُولُ؟ قَالَ: «**ِإن كَانَ ِفيهِ ما تقُولُ، فَقَدِ اغتبتهُ؛ وِإن لَم يكُن ِفيهِ، فَقَد بهتهُ**»[٤٩].

و لَيس الذئبُ يأكُلُ لَحم ذِئبٍ
ويأكُلُ بعضُنا بعضًا عيانًا

---

[٤٩] رواه مسلم (٢٥٨٩).

عن أسماءَ بنتِ يزيدٍ رضي الله عنها قَالَت: قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَفَلَا أُخبِرُكُم بِشِرارِكُم؟**» قَالُوا: بلى، قَالَ: «**المَشاؤُونَ بِالنميمةِ، المُفسِدُونَ بين الأحِبةِ، الباغُونَ البُرآءَ العنت**»[٥٠].

والمَعنى: الطَالِبونَ لِلأبرياءِ المَشقةَ والفَساد ونحو ذَلِك.

عواقِب سوءِ الخُلُق

سوءُ الأخلَاقِ إثمُه كَبِير، ومفَاسِده عظِيمةٌ. وينتج عنه أقوالٌ وأفعالٌ قَبيحةٌ.

فَمن زرع خيرا بِقَولِهِ وفِعلِهِ حصد الكَرامةَ. ومن زرع شرا حصد الندامةَ.

عن أَبِي ذر رضي الله عنه قَالَ: سمِعت خلِيلِي أبا القَاسِمِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ: «**كما لَا يُجتنى مِن الشوكِ العِنبُ، لَا ينزِلُ الفُجارُ منازِلَ الأبرارِ، وهُما طَرِيقَان: فَأَيهُما أخذتُم، أدتكُم إِلَيهِ**»[٥١].

سوءُ الخُلُقِ يفسِد الأعمالَ ويفسِد الأحوالَ، وطَاعةٌ مِمن ساءَ خلُقُه مِثلُ البِناءِ فَوق موجٍ يجعلُ، فَلَا يثبت لَه مِن طَاعتِهِ التِي عمِلَها شيءٌ.

ويكفِي فِي سوءِ الخُلُقِ ما قَالَه النبِي صلى الله عليه وسلم: «**ثَلَاثَةٌ يدعُونَ اللَّه فَلَا يُستجابُ لَهُم: رجُلٌ كَانت تحتهُ امرأةٌ سيئةُ الخُلُق فَلَم يُطلقها، ورجُلٌ كَانَ لَهُ على**

---

[٥٠] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٢٤٦).

[٥١] أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «الأمثال» (١٢٢)، وحسنه الألباني رحمه الله بمجموع طريقيه في «الصحيحة» (٢٠٤٦).

رجُلٍ مالٌ فَلَم يُشهد عليهِ، ورجُلٌ آتى سفِيهًا مالَهُ وقَد قَالَ اللَّهُ عز وجل: (ولا تؤتوا السفاء أموالكم) [النساء: ٥]»[٥٢].

لِأن سيئَةَ الخُلُقِ تنكد العيش وتفسِد الذرّيةَ.

وقَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «وإن سُوءَ الخُلُقِ لَيُفسِدُ العملَ، كَما يُفسِدُ الخَلِ العسلَ»[٥٣].

فَهو كَالسوسِ الذِي ينخِرِ الأسس.

ولِهذَا لَا يجتمِع فِي مؤمِنٍ سوءُ الخُلُقِ.

عن أَبِي سعِيدٍ الخُدرِي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «خصلَتانِ لَا تجتمِعانِ فِي مُؤمِنٍ: البُخلُ وسُوءُ الخُلُقِ»[٥٤].

فَالبخلُ وسوءُ الخُلُقِ ينافِي أخلَاقَه، فَإِن المُؤمِن طَيب المَعشرِ طَيب الخُلُقِ.

قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «المُؤمِنُ مألَفَةٌ، ولَا خير فِيمن لَا يألَفُ ولَا يُؤلَفُ»[٥٥] مألَفَةٌ: يعِني موضِع لِلألفَةِ، وموضِع لِلاجتِماعِ؛ فَالمُؤمِن يجتمِع عليهِ الإِخوانُ، ويجمع بين الإِخوانِ، ويؤلف بينهم؛ سماه مألَفَةً، لِأنه موضِع الِائتِلَافِ، وموضِع

---

[٥٢] رواه الحاكم (٢/ ٣٠٢) رقم (٣١٨١)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٨٠٥).

[٥٣] رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٣٦)، وحسنه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٩٠٦).

[٥٤] رواه الترمذي (١٩٦٢)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٠٨).

[٥٥] رواه أحمد (٥/ ٣٣٥)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٤٢٥).

اِلاجتِماعِ. هكَذَا صِفَةُ أهلِ الإِيمانِ: فَإِنه لَا يفرَق، بل يجمع القُلُوب، ويقَارِب بينها؛ و يجتهد ِفي الإِصلَاحِ، فَلَا يهدأُ له بالٌ ولَا يطمِئن، حتى يجتمِع ِإخوانه ِإذَا كَانوا متفرِقين.

أما سيئُ الخُلُقِ: فَهمه جيبه ومصلَحته الشخصِيةُ.

*** سيئُ الخُلُق ُيبغِضُهُ الرسُولُ صلى الله عليه وسلم**، فَفِي الحَدِيثِ عن أَبِي ثَعلَبةَ الخُشنِي رضي الله عنه: عنِ النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**وإِن أَبغضكُم ِإلَي، وأَبعدكُم مِني ِفي الآخِرةِ: أَسوؤُكُم أَخلَاقًا**»[56].

فَهل ترِيد أيها المُسلِم أن تكُونَ مبغوضا مِن ِقبلِ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم؟ وهل ترِيد أن تكُونَ بعِيدا عنه ومِنه يوم القِيامةِ؟!

*** سيئُ الخُلُق ُيبغِضُهُ اللّهُ:**

عن أَبِي الدرداءِ رضي الله عنه: أَن النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِن اللّه لَيبغِضُ الفَاحِش البذِيءَ**»[57].

وكُل خصلَةٍ قَبِيحةٍ فَهِي فَاحِشةٌ؛ مِن الأَقوالِ والأَفعالِ.

والبذِي: هو الفَاحِش ِفي قَولِه، وبذَا الرجلُ: ِإذَا ساءَ خلُقُه، والبذَاءُ: الكَلَام القَبِيح.

*** سيئُ الخُلُق هُو من ملأَ اللّهُ أُذُنيهِ مِن ثَناءِ الناسِ شرا وهُو يسمعُهُ:**

---

[56] رواه أحمد (٤/ ١٩٣)، وابن حبان (٥٥٥٧) - واللفظ له -. وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٦٢).

[57] رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٤١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: **«أهلُ الجَنةِ من ملأ اللّهُ أذُنيهِ مِن ثَناءِ الناس خيرًا، وهُو يسمعُ؛ وأهلُ النارِ من ملأ أذُنيهِ مِن ثَناءِ الناس شرا، وهُو يسمعُ»**[58].

* **سيئُ الخُلُق الناسُ مِنهُ فِي بلَاءٍ، وهُو مِن نفسِه فِي عناءٍ،** أشقَى الناسِ بِهِ نفسه التِي بين جنبيهِ، هِي مِنه فِي بلَاءٍ، ثُم زوجته، ثُم ولَده، حتى إنه لَيدخلُ بيته، وإنهم لَفِي سرورٍ، فَيسمعونَ صوته، فَينفِرونَ مِنه. فَهو فِي شقَاءٍ حاضِرٍ وعذَابٍ مستمِرٍّ. فَإنه أسِير عدوِهِ الذِي لَا يتركُه أينما حل. فَهو يجلِب لِنفسِهِ الهَم والغم والكَدر، وضِيق العيشِ، ويجلِب لِغيرِهِ الشقَاءَ.

إذَا حاولَ سيئُ الأَخلَاقِ أن يهرب مِن البِلَادِ لِيستقِر فِي الأفلَاكِ البعِيدةِ، فَإنه واقِع لَا محالَةَ فِي بلَاءِ سوءِ خلُقِهِ.

إذَا لَم تتسِع أخلَاقُ قَومٍ
تضِيقُ بِهِم فَسِيحاتُ البِلَادِ

ولِلّهِ در القَائِل:

لَعمرُك ما ضاقَت بِلَاد بِأهلِها
ولَكِن أخلَاقُ الرجال تضِيقُ

* **سيئُ الأَخلَاق قُدوةٌ سيئَةٌ لِغيرِهِ:**

---

[58] رواه ابن ماجه (٤٢٢٤)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٧٤٠).

فَمن كَانَ بخِيلًا فَهو متصِف ِبسوءِ الخُلُقِ، وقَد قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم:

«وأي داءٍ أدوى ِمن الُبخل؟!»[٥٩] والمَعنى: أي عيبٍ أقبح ِمن البخلِ! وأي مرضٍ أعظَم ِمنه! لَا شيءَ أعظَم ِمنه. والِإنسانُ ِإذَا أورثَ أولَاده هذَا الخُلُق السيئَ، فَقَد أساءَ ِإلَيهم ِإساءَةً مستمِرّةً.

والذِي يكذِب يربي أولَاده علَى الكَذِبِ، الذِي هو أبغض خلُقٍ ِإلَى رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم.

عن عاِئشةَ رضي الله عنها قَالَت: «**ما كَانَ خُلُق أبغض ِإلَى رسُول اللّهِ ِمن الكَذِبِ، ولَقَد كَانَ الرجُلُ ُيحدثُ عِند النبِي صلى الله عليه وسلم ِبالكِذبةِ؛ فَما يزالُ ِفي نفسِه، حتى يعلَم أنهُ قَد أحدثَ ِمنها توبةً**»[٦٠].

*** الأخلَاقُ السيئَةُ يجُر بعضُها بعضًا:**

ِإن معاملَةَ الناسِ ِبخلُقٍ سيئٍ بدلًا ِمن الخُلُقِ الحَسنِ، كَالُمعاملَةِ ِبالقَسوةِ بدلًا ِمن الرفقِ، أو الغضبِ بدلًا ِمن كَظمِ الغيظِ، أوبِالتكبِرِ بدلًا ِمن التواضعِ، أو ِبسوءِ الظن بدلًا ِمن حسنِ الظن، أو ِبالحَسدِ بدلًا ِمن الِغبطَةِ، أو ِبالُمقَابلَةِ ِبوجهٍ عبوسٍ بدلًا ِمن الُمقَابلَةِ ِبطَلَاقَةِ الوجهِ، أو ِبالكَلَامِ البذِيءِ بدلًا ِمن الكَلَامِ الطيبِ، أو ِبالإِهانةِ بدلًا ِمن التوقِيرِ والِاحتِرامِ والِإكرامِ، أو غَيرِ ذَلِك ِمن الأخلَاقِ السيئَةِ بدلًا ِمن الأخلَاقِ الحَسنةِ، كُل ذَلِك لَه عواِقب

---

[٥٩] قطعة من حديث: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٢٢٧).

[٦٠] رواه الترمذي (١٩٧٣)، وصحح إسناده الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٦٨).

وخِيمةٌ علَى الفَردِ والمُجتمعِ، وهذِهِ العواقِب مرتِبطَةٌ ِببعضِها البعض، ِبحيثُ تتسبب كُل عاقِيةٍ ِفي حدوثِ العاقِبةِ الِتي تِليها.

ومِن هذِهِ العواقِبِ: التركِيز علَى الأخطَاءِ: ِإن المُعاملَةَ ِبسوءِ الخُلُقِ تورِثُ ِفيمن يتعاملُ ِبها داءَ الترصدِ والتنقِيبِ عنِ الأخطَاءِ والتركِيزِ علَيها: ِإما بالتجسسِ أو ِبالتحسسِ، وكِلَا الأمرينِ منهي عنه، فَعن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه: أَن رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**ِإياكُم والظن، فَإِن الظن أَكذَبُ الحَدِيثِ، ولَا تجسسُوا، ولَا تحسسُوا، ولَا تنافَسُوا، ولَا تحاسدُوا، ولَا تباغَضُوا، ولَا تدابرُوا، وكُونُوا عِباد اللَّهِ ِإخوانًا**»[٦١]، والتركِيز علَى الأخطَاءِ يورِثُ كَذَلِك سوءَ الفَهمِ، فَيفهم كُل واحِدٍ ِمن المُتخاصِمِين الآخر علَى غَيرِ المُرادِ الذِي يريده، فَتنشأُ بينهم العداوةُ والتباغُض والتدابر.

والتباغُض والتدابر نَتِيجةٌ حتمِيةٌ ِلسوءِ الفَهمِ، وينتج عنها مباشرةً: الخُصومات والِادعاءَات، ومِن ثَم: التقَاطُع والهُجرانُ.

والقَطِيعةُ والهُجرانُ بين المُسلِمِين عاقِبتهما وخِيمةٌ، فَسبِيها لَا يغفِر اللَّه ِللعبدِ ِإلا ِإذَا اصطَلَح مع الذِي بينه وبينه بغضاءُ وشحناءُ، فَعن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه: أَن رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**تُفتحُ أَبوابُ الجَنة يوم الِاثنينِ ويوم الخَمِيس، فَيغفَرُ ِلكُل عبدٍ مُسلِمٍ لَا يشرِكُ ِباللَّهِ شيئًا، ِإلا رجُلًا كَانت بينهُ وبين أَخِيهِ شحناءُ، فَيقَالُ: أَنظِرُوا هذَين حتى يصطَلِحا، أَنظِرُوا هذَين حتى يصطَلِحا**»[٦٢].

---

[٦١] رواه مالك (٢٨٥٣): ومن طريقه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣).

[٦٢] رواه مالك (٢٨٥٥): ومن طريقه مسلم (٢٥٦٥).

وكَذَلِك ينشأُ مِن العداوةِ والتباغُضِ والتدابرِ أزمةٌ فِي الثقَةِ بين الناسِ، فَلَا يولي أحد ثِقَته فِي الآخرِ، وينشأُ كَذَلِك نقص الإِيمانِ؛ وفِي حقِيقةِ الأمرِ: إِن أزمةَ الثقَةِ بين الناسِ، والتِي نتجت عن مخالَقَتِهم لِبعضِهم بِأخلَاقٍ سيئَةٍ، ما هِي إِلا نوع مِن أنواعِ الظلمِ.

فَعواقِب سوءِ الخُلُقِ بِمجملِها تؤدي إِلَى تكَوِنِ مجتمعٍ متهالِكٍ هش، ضعِيفِ البنيانِ والأركَانِ، مـ ُوعِ الثقَةِ منعدِمِ الأمنِ، تسوده المَخاوِف والقَلَاقِلُ والفِتن.

أرأيتم ماذَا ترتب علَى سوءِ الخُلُقِ؟ أجل: ترتب علَيهِ حدوثُ كَثِيرٍ مِن المَفَاسِدِ، وضياع كَثِيرٍ مِن المَصالِحِ! وكَم أفسد حياةَ الإِنسانِ، وكَم أضر بِالمُجتمعاتِ؟!

وإِنما الأُممُ الأَخلَاقُ ما بقِيت

فَإِن هُمُ ذَهبت أخلَاقُهُم ذَهبُوا

نعم يذهبونَ مع الريحِ إِذَا سقَطَت أخلَاقُهم فِي الحَضِيضِ.

ولِلَّهِ در القَائِلِ:

ولَيس بِعامِرٍ بُنيانَ قَومٍ

إِذَا أخلَاقُهُم كَانت خراَبا

لَقَد ذَهبت أُمتنا يوم ذَهبت أخلَاقُنا، لِأجلِ هذَا: إِننا بِحاجةٍ إِلَى إِعادةِ بِناءِ صرحِ الأَخلَاقِ لِإِقَامةِ الأُمةِ.

لِتكُونَ لنا أُمةٌ، فَلَا بد أن نبدأَ بِتحسِينِ أخلَاقِنا فِي معاملَةِ الخَلقِ: فَبلُوغُ الآفَاقِ بِسموّ الأخلَاقِ.

وإِذَا أُصِيبتِ الأُمةُ فِي أخلَاقِها: فَقَد آذَنت بِتصدعِ أركَانِها وزعزعةِ أُمورِها، وخرابِ شؤونِها وفَسادِ أبنائِها؛ فَصلَاح الأفرادِ والأُممِ: مرده إِلَى الإِيمانِ والأَخلَاقِ.

الأخلَاق فِي كُل أُمةٍ عنوانُ مجدِها، ورمز سعادِتها، وتاج كَرامِتها، وشِعار عِزها وسِيادِتها، وسِر نصرِها وقُوتها.

صلَاحُ أمرك لِلأخلَاق مرجِعُهُ

فَقَومِ النفس بِالأخلَاق تستقِمِ

* **سُوءُ الخُلُق يُغطي غَيرهُ مِن المَحاسِنِ:**

واحذَر مساوئ أخلَاقٍ تُشانُ بِها

وأسوأ السوءِ سُوءُ الخُلُق والبُخل

وكَم مِن فَتًى أزرى بِهِ سُوءُ خُلُقِهِ

فَأصبح مذمُومًا قَلِيلَ المَحامِدِ

* **سُوءُ الخُلُق يُؤدي إِلَى دُخُول النار:** عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِلنبِي صلى الله عليه وسلم: يا رسولَ اللّهِ! إن فُلَانةً تقُوم الليلَ وتصوم النهار، وتفعلُ، وتصّدق، وتؤذِي جِيرانها بِلسانِها؟ فَقَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: **«لَا خير فِيها، هِي مِن أهل النار»**[٦٣].

عِلَاج سوءِ الخُلُق

قَالَ اللّه تعالَى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) [الشمس: **٧** - **٩**]، فَعلق الفَلَاح علَى من زكى نفسه وطَهرها مِن كُل خلُقٍ سافِلٍ، وتحلى بِالفَضائِل، وجعلَ الخَيبةَ والخَسارةَ علَى من دس نفسه فَغمسها بِالرذَائِل.

[٦٣] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٩٠).

وحيثُ كَانَ سوءُ الخُلُقِ مِن أسوإِ الخِصالِ وأخس الصفَاتِ، فَجدِير بِمن يرغَب فِي تهذِيبِ نفسِهِ، وتطهِيرِ أخلَاقِهِ مِن هذَا الخُلُقِ الذمِيمِ، أن يتبِع النصائِح التالِيةَ:

أولًا: إِدمانُ النظرِ فِي فَضائِل حُسن الخُلُق: فَإِن حسن الخُلُقِ مِن أولَى ما اكتسبته النفُوس، وأجل غَنِيمةٍ غَنِمها المُوفقُونَ. ومتى عِلِم العبد ما فِي حسنِ الخُلُقِ مِن الخَيرات العاجِلَةِ والآجِلَةِ: مِن الثوابِ الجَزِيل، والأجرِ الجَمِيل، والحَظ العظِيمِ والمَقَامِ العالِي والنعِيمِ المُقِيمِ، أتت نفسه بِالخُلُقِ الحَسنِ منقَادةً مستحلِيةً لِثمراتِهِ.

ثَانِيًا: التأسي بِأخلَاقِ النبِي صلى الله عليه وسلم:

عن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ النبِي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلُقًا**»[64].

قَالَت عائِشةُ رضي الله عنها: «**فَإِن خُلُق نبِي اللّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ القُرآنَ**»[65].

«معناه: العملُ بِهِ، والوقُوف عِند حدودِهِ، والتأدب بِآدابِهِ، والاعِتبار بِأمثَالِهِ وقَصصِهِ، وتدبره وحسن تِلَاوتِهِ»[66].

وهذَا أحسن الأخلَاقِ وأشرفُها وأجملُها.

---

[64] رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢٣١٠).

[65] رواه مسلم (٧٤٦)، ضمن حديث طويل.

[66] «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/ ٣٨ - ٣٩).

ويكفِي فِي ذَلِك قَولُه تعالَى: (وإنك لعلى خلق عظيم) [القلم: ٤].

فَكَانَ صلى الله عليه وسلم لَه مِن كُل خلُقٍ جمِيلٍ أكملُه وأجله، وهو فِي كُل خلُقٍ، فِي الذروةِ العليا. فَقَد حباه اللّٰه بالأخلَاقِ الكَرِيمةِ، والخِصالِ الحَمِيدةِ.

«فَكَانَ سهلًا لَينا، قَرِيبا مِن الناسِ، مجِيبا لِدعوةِ من دعاه، قَاضِيا لِحاجةِ من استقضاه، جابِرا لِقَلبِ من سأَلَه، لَا يحرِمه، ولَا يرده خائِبا.

وإِذَا أَراد أَصحابه مِنه أَمرا وافَقَهم علَيهِ، وتابعهم فِيهِ إِذَا لَم يكُن فِيهِ محذُور، وإِن عزم علَى أَمرٍ لَم يستبِد بِهِ دونهم، بل يشاوِرهم.

وكَانَ يقبلُ مِن محسِنِهم، ويعفُو عن مسِيئِهم، ولَم يكُن يعاشِر جلِيسا، إلا أتم عِشرةً وأحسنها.

فَكَانَ لَا يعبس فِي وجهِهِ، ولَا يغلِظُ علَيهِ فِي مقَالِهِ، ولَا يطوِي عنه بِشره، ولَا يمسِك علَيهِ فَلَتاتِ لِسانِهِ، ولَا يؤاخِذُه بِما يصدر مِنه مِن جفوةٍ، بل يحسِن إِلَيهِ غَايةَ الإِحسانِ ويحتمِلُه غَايةَ الِاحتِمالِ»[٦٧].

فَلنتأَس بِرسولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم، ولنجعل أَخلَاقَنا القُرآنَ، ما استطَعنا إِلَى ذَلِك سبِيلًا؛ لِنؤثر فِي أَزواجِنا وأَهلِينا وأَقَارِبِنا.

ثَالِثًا: مُجالَسةُ الصالِحِين:

فَإِن الأَخلَاقَ تتربى بِأَقوالِهم وأَفعالِهِم، وإِن الكَمالَ ينمو بِالِاقتِداءِ بِهِم فِي محاسِنِ أَعمالِهِم.

---

٦٧ «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٢٣٨).

عن أَبِي سعِيدٍ الخُدرِي رضي الله عنه: عنِ النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا تُصاحِب إِلا مُؤمِنًا، ولَا يأكُل طَعامك إِلا تِقِي**»[68].

ومعنى الحَدِيثِ: لَا تدع إِلَى مؤاكَلَتك إِلا الأَتقِياءَ، لِأَن المُؤاكَلَة توجِب الأُلفَةَ وتجمع بين القُلُوبِ. فَتوخ أن يكُونَ خلَطَاؤك وذَوو الِاختِصاصِ بِك أَهلَ التقوى[69]. لِأَن مجالَسةَ الحَرِيصِ ومخالَطَته تحرك الحِرص، ومجالَسةَ الزاهِدِ ومخالَطَته تزهد فِي الدنيا؛ ولِأَن الطباع مجبولَةٌ علَى التشبِهِ والِاقتِداءِ، بل الطبع يسرِق مِن الطبعِ مِن حيثُ لَا يدرِي.

ورحِم اللّه القَائِلَ:

وصاحِب أُولِي التقوى تنل مِن تُقَاهُم
ولَا تصحبِ الأَردى فَتردى مع الردِي

صاحِب ذَوِي الأَخلَاقِ الفَاضِلَةِ، وجانِبِ الأَشرار ذَوِي الأَفعالِ الدنِيئَةِ الرّدِيئَةِ.

فَالصالِح إِن رأى مِنك عيبا نبهك علَيهِ، فَعن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه: عن رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**المُؤمِنُ مِرآةُ المُؤمِن، والمُؤمِنُ أَخُو المُؤمِن: يكُف علَيهِ ضيعتهُ، ويحُوطُهُ مِن ورائِهِ**»[70]. والتشبِيه بِالمِرآةِ قَولٌ بلِيغٌ بدِيع، فَماذَا لَو استشعرنا عدم وجودِ المِرآةِ فِي المُجتمعِ؟ وماذَا لَو لَم يخالِطِ المُسلِم الصالِحِين؟ وماذَا لَو تركنا الأَمر بِالمَعروفِ والنهي عنِ المُنكَرِ؟ وماذَا لَو أَغفَلنا التناصح؟

---

[68] رواه أبو داود (٤٨٣٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ١٨٧).

[69] «العزلة» (ص٥٧)، للخطابي.

[70] رواه أبو داود (٤٩١٨)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٢٠٦).

عِندما ينظُر الإِنسانُ ِفي الِمرآةِ فَيرى أوساخا علَى وجهِهِ فَإِنه لَا يعاِتب الِمرآةَ، وإِنما يفرح ِبما لَاحظَه ِمن عيوِبِه الِتي كَشفَتها ِتلك الِمرآةُ، ويساِرع ِإلَى ِإزاَلِتها، وكَذَِلك الناِصح ينبِغي أَن نفرح ِبنِصيحِتِه ونشكُره علَيها، ونستِجيب لَها، ونِصبِر علَى مراراِتها، ِلأَنها ستؤدي ِإلَى نجاِتنا ِمن المَهاِلِك، وطَهارِة نفُوِسنا ِمن الدنسِ.

وقَد كَانَ السلَف يِحبونَ من ينبههم علَى عيوِبهم، ونحن الآنَ ِفي الغاِلِب أبغض الناسِ ِإلَينا من يعرفُنا عيوبنا.

وهذَا دِليلٌ علَى ضعفِ الإِيمانِ، فَإِن الأَخلَاق السيئَةَ كَالعقَاِربِ، ولَو أَن منبها نبهنا علَى أَن تحت ثَوِب أَحِدنا عقربا لَتقَلدنا لَه ِمنةً، واشتغلنا ِبقَتِلها، والأَخلَاق الرِديئَةُ أَعظَم ضررا ِمن العقرِب علَى ما لَا يخفَى.

رابِعًا: عاِمل الناس ِبما تِحب أَن يعاِملُوك ِبِه:

عن عبِد اللّهِ بِن عمٍرو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «... **فَمن أَحب أَن يزحزح عِن النارِ، ويدخُلَ الجَنةَ، فَلتأِتِه ِمنيتُه وهو يؤِمن ِباللّهِ واليومِ الآِخِر، وليأِت ِإلَى الناسِ، الِذي يِحب أَن يؤتى ِإلَيِه**»[٧١].

ولَا شك أَن من زحِزح عِن النارِ وأُدِخلَ الجَنةَ فَقَد فَاز، وأَن هِذِه غَايةٌ يسعى ِإلَيها جِميع المُؤِمنين.

قَالَ اللّه تعالى: (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) [آل عمران: **١٨٥**].

وِللّهِ در القَاِئلِ:

٧١ رواه مسلم (١٨٤٤).

ليس السعِيدُ الذِي دُنياهُ تُسعِدُهُ

إِن السعِيد الذِي ينجُو مِن النارِ

فَذَكَر النبي صلى الله عليه وسلم فِي هذَا الحَدِيثِ لِدخول الجَنةِ سببين:

الأَوّلُ: الإِيمانُ بِاللّهِ واليومِ الآخِرِ.

الثانِي: معاملَةُ الناسِ كما يحِب أن يعامِلُوه، أن تفعلَ معهم ما تحِب أن يفعلُوه معك. فَلَا يؤذِيهم، لِأنه لَا يحِب أن يؤذُوه؛ ولَا يعتدِي علَيهم، لأنه لَا يحِب أن يعتدوا علَيهِ؛ ولَا يشتِمهم، لِأنه لَا يحِب أن يشتِموه؛ وهلُم جرا. لَا يغشهم فِي البيعِ والشراءِ وغَير ذلِك، ولَا يكذِب علَيهم؛ لِأنه لَا يحِب أن يفعلَ بِهِ ذلِك، وهذِهِ قَاعِدةٌ لَو أن الناس مشوا علَيها فِي التعاملِ فِيما بينهم، لَنالُوا خيرا كَثِيرا، ويشبِه هذَا قَولُ النبِي صلى الله عليه وسلم: «**لَا يُؤمِنُ أحدُكُم حتى يُحِب لِأخِيهِ ما يُحِب لِنفسِهِ**»[٧٢].

خامِسًا: طَلَاقَةُ الوجهِ مع الناسِ:

وذَلِك بِأن يقَابِلَهم بِوجهٍ مبتسِمٍ غَير عبوسٍ، فَإِن هذَا مِن المَعروفِ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**لَا تحقِرن مِن المَعرُوفِ شيئًا، ولَو أن تلقَى أخاك بِوجهٍ طَلقٍ**»[٧٣]. كما أن هذِهِ الِابتِسامةَ مِن الصدقَةِ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**تبسمُك فِي وجهِ أخِيك لَك صدقَةٌ**»[٧٤] الِابتِسامةُ مِفتاح لِكَثِيرٍ مِن القُلُوبِ المُقفَلَةِ.

---

[٧٢] رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

[٧٣] رواه مسلم (٢٦٢٦).

[٧٤] رواه الترمذي (١٩٥٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٦٢).

اِلابِتسامةُ خلُق جمِيلٌ، وهِي تنِبئُ عن شخصٍ ذِي مخزونٍ عالٍ مِن الأخلَاقِ الرفِيعةِ.

ولقَد لَبس ِإبلِيس علَى كَثِيرٍ مِن الناسِ ِفي تعِبيسِ وجوهِهِم، وأوهمهم أن ذَلِك مِن الجِد الذِي أمر ِبِهِ الإِسلَام.

وإِن أساءَ ِإلَيك أحد الحَمقَى أو تعرضت ِلتصرفٍ غَرِيبٍ، فَقَابِل ِتلك الإِساءَة ِباِبتسامةٍ، قَد تكُونُ سببا ِفي إِنقَاذِ عبدٍ قَد تدلى ِبالنارِ، أو كَاد أن يسقُطَ ِفيها.

عن أنسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنت أمشِي مع النِبي صلى الله عليه وسلم وعلَيهِ برد نجراِني غَلِيظُ الحَاشِيةِ، فَأدركَه أعراِبي فَجذَبه جذبةً شدِيدةً، حتى نظَرت ِإلَى صفحةِ عاِتقِ النِبي صلى الله عليه وسلم، قَد أثرت ِبِهِ حاشِيةُ الرداءِ مِن شِدةِ جذبِتهِ، ثُم قَالَ: مر ِلي مِن مال اللَّهِ الذِي عِندك، فَالتفَت ِإلَيهِ فَضحِك، ثُم أمر لَه ِبعطَاءٍ»[75].

فَلَا ينبغِي لَنا أن نبخلَ ِباِبتسامةٍ، قَد تكُونُ سببا ِفي إِنقَاذِ عبدٍ، أو إِزالَةِ همٍّ قَد أصاب أخا لَنا.

ولنحرِص داِئما علَى ِلقَاءِ إِخواِننا ِبوجوهٍ طَلِقَةٍ، وأفِئدةٍ محِبةٍ، ونفُوسٍ نقِيةٍ.

ولنحرِص داِئما علَى ِإدخالِ السرورِ ِفي قُلُوِبهِم، فَهذَا كُله من المَعروفِ، وهذَا كُله مِن الصدقَاتِ.

سادِسًا: الدعاءُ:

نوصِي المُسلِم ِبالإِكثَارِ مِن الأدعِيةِ التاِليةِ:

---

[75] رواه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

* [اللهُم] اهدِني لِأحسن الأخلاق؛ لا يهدِي لِأحسِنها إلا أنت، واصرِف عني سيئَها، لا يصرِفُ عني سيئَها إلا أنت[76].

* اللهُم إني أعُوذُ بِك مِن مُنكَراتِ الأخلاق والأعمال والأهواءِ[77].

منكَرات الأخلَاق: أي الأخلَاق المُنكَرات.

والأعمالُ: يعِني ما يفعلُه الإنسانُ بِجوارِحِهِ كالمَعاصِي.

والأهواءُ: جمع هوى، والمُراد بِها الأهواءُ المُضِلةُ.

والأدواءُ: جمع داءٍ وهِي الأمراض.

* اللهُم أحسنت خلقِي، فَأحسِن خُلُقِي[78].

سابِعًا: المُجاهدةُ:

حسن الخُلُقِ خصلَةٌ عظِيمةٌ كَبِيرةٌ، فَالمُجاهدةُ فِي طَلَبِها، والقِيام بِحقها، والعِنايةُ فِي تحصِيلِها أيضا: لَفعلٌ كَبِير وشأنٌ عظِيم، فَإن المَكَارِم علَى حسبِ المَكَارِهِ، وإن اللذّاتِ علَى حسبِ المُؤنَاتِ.

قَالَ اللَّه تعالَى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) [العنكبوت: ٦٩].

---

[76] رواه مسلم (٧٧١).

[77] رواه الترمذي (٣٥٩١)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٤٧٣).

[78] رواه أحمد (١/ ٤٠٣ رقم ٣٨٢٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٣٠٧).

وقَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**المُجاهِدُ من جاهد نفسهُ ِفي طَاعةِ اللّهِ، والمُهاجِرُ من هجر الخَطَايا والذُنوب**»[79].

فَيجاهِد الإنسانُ نفسه علَى حمِلِها علَى الخُلُقِ الحَسنِ، وكَفها عنِ الخُلُقِ الذمِيمِ.

أما من يرغَب ِفي أن تأتِيه الأخلَاق الحَمِيدةُ كَامِلَةً صافِيةً ِفي صورةِ هدِيةٍ، وهو بعِيد عنِ المُجاهدةِ والمُعاناةِ، والسعي ِفي سبِيلِها، والتضحِيةِ مِن أجلِها، فَلَن يصِلَ ِإلَيها! فَلَولَا المَشقةُ لَساد الناس كُلهم.

والمُجاهدةُ لَا تعِني أن يجاهِد المَرءُ نفسه مرةً، أو مرتينِ، أو أكثَر، بل تعِني أن يجاهِد نفسه حتى يموت؛ ذَلِك أن المُجاهدةَ عِبادةٌ، واللّه تعالَى يقُولُ: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) [الحجر: **٩٩**].

ثَامِنًا: تكَلفُ الأخلَاقِ الحَسنةِ:

ينبغِي علَى الإنسانِ أن يوطن نفسه علَى الأخلَاقِ الجَمِيلَةِ، والصفَاتِ الحَمِيدةِ، ِلينالَ رِضى المَولَىچ.

فَمن أراد تحصِيلَ خلُقِ الجُودِ، فَليتكَلف ِفعلَ الجَوادِ مِن البذلِ، ِليصِير ذَلِك طَبعا لَه.

وكَذَلِك من أراد التواضع تكَلف أفعالَ المُتواضِعِين، وكَذَلِك جمِيع الأخلَاقِ المَحمودةِ، فَإِن ِللعادةِ أثَرا ِفي ذَلِك، ولِلدوامِ تأثِير عظِيم.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: سمِعت رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ: «**إِنما العِلمُ ِبالتعلمِ، وإِنما الحِلمُ ِبالتحلمِ؛ ومن يتحر الخَير ُيعطَهُ، ومن يتوق الشر**

[79] رواه أحمد (٦/ ٢١)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٥٤٩).

يُوقَّه»[80]. ومِن خِلَالِ هذَا الحَدِيثِ العظِيمِ، بِما حملَته ألفَاظُه مِن مقَاصِدِ جلِيلَةٍ وقواعِدَ ذَهبِيةٍ: يعلمنا رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أن الأخلَاق تكتسب بِتعوِيدِ النفسِ علَيها، وتدرِيبِها علَى الأخلَاقِ الفَاضِلَةِ، كَالجَسدِ يخلَق نَاقِصا ثُم ينمو ويكْبر، والنفس تنضج أخلَاقِيا بِالتربِيةِ والمُجاهدةِ.

قَالَ الشاعِر:

هِي الأَخلَاقُ تنبُتُ كَالنباتِ
إِذَا سُقِيت بِماءِ المَكرُماتِ

النبتةُ تحتاج إِلَى من يرعاها، ويعتنِي بِها لِتنمو ولَا تموت.

فَلَو تداركنا أخطَاءَنا بِتنمِيةِ أخلَاقِنا، لَقَطَفنا ثِمارا يانِعةً، ولَعطرنا الأَرض بِروعةِ أزهارٍ مزهِرةٍ، ولَسعِدنا وأسعدنا وسمونا.

وفِي الحَدِيثِ عن معاوِيةَ بنِ أَبِي سفيانَ رضي الله عنهما: يحدثُ عن رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ: **«الخَيرُ عادةٌ، والشر لَجاجةٌ»**[81] العادةُ مِن العودِ، كَأنه يعود إِلَى الشيءِ مرةً بعد أخرى وثَانِيةً بعد أُولَى، حتى يسهلَ علَيهِ فِعلُ الخَيرِ، ويتيسر لَه إِتيانُ الصالِحِ مِن الأعمالِ والفَاضِلِ مِن الأخلَاقِ.

تاسِعًا: عُلُو الهِمةِ:

---

[80] أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٢٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢٣٢٨).

[81] رواه ابن ماجه (٢٢١)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٨٢).

قَالَ ابن القَيِمِ رحمه الله: «فَمن علَت هِمته، وخشعت نفسه، اتصف بِكُل خلُقٍ جمِيلٍ؛ ومن دنت هِمته، وطَغت نفسه، اتصف بِكُل خلُقٍ رذِيلٍ»[٨٢].

وقَالَ رحمه الله: «فَالنفُوس الشرِيفَةُ لَا ترضى مِن الأَشياءِ إِلا بِأَعلَاها، وأَفضلِها، وأَحمدِها عاقِبةً، والنفُوس الدنِيئَةُ تحوم حولَ الدناءَاتِ، وتقَع علَيها كَما يقع الذباب علَى الأَقذَارِ؛ فَالنفُوس الشرِيفَةُ العلِية لَا ترضى بِالظلمِ، ولَا بِالفَواحِشِ، ولَا بِالسرِقَةِ والخِيانةِ؛ لِأَنها أكبر مِن ذَلِك وأجل. والنفس المَهينةُ الحَقِيرةُ الخَسِيسةُ بِالضد مِن ذَلِك»[٨٣].

عاشِرًا: الصبرُ:

فَالصبر مِن الأُسسِ الأَخلَاقِيةِ التِي يقُوم علَيها الخُلُق الحَسن، فَالصبر يحمِلُ علَى الِاحتِمال، وكَظمِ الغيظِ، وكَف الأَذَى، والحِلمِ، والأَناةِ، والرفقِ، وتركِ الطيشِ والعجلَةِ.

الحَادِي عشر: لُزُومُ الصدق:

فَالصدق يهدِي إِلَى البِر، وحسن الخُلُقِ مِن جملَةِ ذَلِك البِر.

عن عبدِ اللّهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم:

«علَيكُم بِالصدق، فَإِن الصدق يهدِي إِلَى البِر، وإِن البِر يهدِي إِلَى الجَنةِ، وما يزالُ الرجُلُ يصدُقُ، ويتحرى الصدق حتى يُكتب عِند اللّهِ صِديقًا...»[٨٤].

الثانِي عشر: المُحافَظَةُ على الصلَاةِ:

---

[٨٢] «الفوائد» (ص٢٥٩).

[٨٣] «الفوائد» (ص٣١٣).

[٨٤] رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم [١٠٥-(٢٦٠٧)]-واللفظ له-.

فهي سبب عظيم لحسن الخُلُق، فإنها تنهى عن الفحشاءِ والمُنكرِ، وسوءُ الخُلُقِ مِن جملةِ ما تنهى عنه الصلاةُ.

الثالثُ عشر: لُزومُ الحَياءِ:

الحَياءُ هو مِن أفضل الأخلاق وأجلها، وأعظمِها قدرا، وأكثرِها نفعا، قالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**إن لكل دينٍ خُلقًا، وخُلُقُ الإسلامِ الحَياءُ**»[85].

وعن أشج عبدِ القيسِ رضي الله عنه قالَ: قالَ لي النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن فيك لخُلُقينِ يُحِبهُما اللّهُ**» قُلت: وما هما يا رسولَ اللّهِ؟ قالَ: «**الحِلمُ والحَياءُ**» قُلت: قَدِيما كانَ أو حدِيثًا؟ قالَ: «**قَدِيمًا**» قُلت: الحَمد لِلّهِ الذِي جبلَني على خلُقَينِ أحبهما اللّه[86].

الرابعُ عشر: إفشاءُ السلامِ:

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لا تدخُلُونَ الجَنةَ حتى تُؤمِنُوا، ولا تُؤمِنُوا حتى تحابوا، أو لا أدُلكُم على شيءٍ إذَا فعلتُمُوهُ تحاببتُم؟ أفشُوا السلامَ بينكُم**»[87].

---

٨٥ رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٩٤٠).

٨٦ رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٤٥٥).

٨٧ رواه مسلم (٥٤).

قَولُه: «**أفشُوا**» مِن الإفشاءِ، وهو الإشاعةُ والإكثَار، وفِيهِ الحَث العظِيم علَى إفشاءِ السلَامِ وبذلِهِ لِلمسلِمِين كُلهم: من عرفَه ومن لَم يعرِفه. والسلَام أولُ أسبابِ التآلُفِ، ومِفتاح استِجلَابِ المَودةِ، ومِن إفشائِهِ تمكن أُلفَةُ المُسلِمِين بعضِهم لِبعضٍ، وإظهار شِعارِهِم المُميز لَهم من غَيرِهِم مِن أهلِ المِلَلِ، مع ما فِيه مِن رِياضةِ النفسِ، ولُزومِ التواضعِ، وإعظَامِ حرماتِ المُسلِمِين[88].

الخَامِسُ عشر: عامِل الناس بِأخلَاقِك، ولَا تعامِلهُم بِأخلَاقِهم:

فَمن مِنا لَم يخطِئ معه أحد..؟!

من مِنا لَم ينقَل علَى لِسانِهِ كلَام لَم يتقَول بِهِ؟!

من مِنا لَم ينله الأذَى مِمن حولَه؟!

ولَكِن هل نرد الإساءَةَ بِالإساءَةِ؟!

وهل نعامِلُ الناس كَما يعامِلُونا؟!

يجِب علَى كُل امرِئٍ مِنا أن يوطن نفسه علَى أن يعامِلَ الآخرِين بِأخلَاقِهِ ولَيس بِأخلَاقِهم، فَإن أساؤوا لَك فَأحسِن، وإن أحسنوا فَزِد بِالإحسانِ؛ ولَا ترد الإساءَةَ بِالإساءَةِ، لِأنك بِذَلِك تتخلق بِأخلَاقِهم، وتصِبح واحِدا مِنهم.

تمسّك دائِما بِأخلَاقِك العالِيةِ الراقِية عِند تحاورِك مع الآخرِين، وترفع عن سفَاسِفِ الأمورِ، وتخلق بِأخلَاقِ الإسلَامِ، ولَا يهمك أن هناك من لَا يتخلق بِها مِن أهلِها، واترك أمرهم لِلّهِ تعالَى، وتمثل قَولَ القَائِلِ:

---

[88] «العلم الهيِّب» (ص٤٧٧ - ٤٧٨).

كُن كَالنخِيل عن الأحقَادِ مُرتفِعًا
بِالطوبِ يُرمى فَيرمِي أطيب الثمرِ

بِالطوبِ: أي: بِالطينِ.

كَن كَالنخلَةِ إِن رماها الناس بِالحِجارةِ، لَا تفتأُ ترمِيهم بِالرطَبِ.

لَا بد مِن أن نرتقِي بِأخلَاقِنا إلى العلَا، لِنسمو بِأنفُسِنا ونسعد بِحياتِنا!

أسِئلَةٌ وأجوبتها

السؤالُ الأولُ: هل معاملَةُ الناسِ بِالحَزمِ والقُوةِ والجَفَاءِ، أحيانا ينافِي الخُلُق الحَسن أو لَا؟

الجَواب: لَا ينافِيه، لِأنه لِكُل مقَامٍ مقَالٌ، فَإِذَا كَانتِ المَصلَحةُ فِي الغِلظَةِ والشدةِ فَعلَيك بِها، وإِذَا كَانَ الأَمر بِالعكسِ فَعلَيك بِاللينِ والرفقِ، وإِذَا دار الأمر بين اللينِ والرفقِ أو الشدةِ والعنفِ، فَعلَيك بِاللينِ والرفقِ؛ لِأن النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: **«إِن اللّه رفِيق يُحِب الرفق فِي الأمرِ كُلِه»**[89].

السؤالُ الثانِي: هل هناك مِن نصِيحةٍ لِرجلٍ شدِيدِ الغضبِ؟

اعلَم - رحِمك اللّه - بِأن الشيطَانَ إِنما يظفَر بِالإِنسانِ غَالِبا عِند الغضبِ، فَهناك يصطَاده، فَإِنه يقُولُ ما لَا يرضِي الرب، ويفعلُ ما لَا يرضِيه. ومن كَظَم غَيظَه ورد غَضبه أخزى شيطَانه، وسلِمت مروءَته ودِينه.

[89] رواه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

والغضب ينتج عنه مفَاسِد عظِيمةٌ؛ ربما سب الإنسانُ نفسه، أو سب دِينه، أو سب ربه، أو طَلق زوجته، أو كسر إناءه، أو أحرق ثيابه، وكثير مِن الوقَائِع تصدر مِن بعضِ الناسِ إِذَا غَضِبوا، كَأنما صدرت مِن المَجنون[90].

وكم مِن فِتنةٍ فِي العالَمِ تعاظَمت، وتفَاحشت فِيها الشرور، وهتِكت فِيها الأعراض، وسفِكت فِيها الدماءُ، وقُطِعت فِيها الأرحام، وأوجبت غَضب الرب العظِيمِ عز وجل، وأوجبت عذَابه الشدِيد بِسببِ الغضبِ. بل هو سبب معظَمِ الفِتنِ فِي العالَمِ، نسألُ اللّٰه العافِيةَ، مع ما فِيهِ مِن العاجِلِ مِن أَلَمِ القَلبِ، وتنغِيصِ العيشِ.

ومِن ثَم حرم القَضاءُ بِالحَق علَى القَاضِي العادِلِ عِند الغضبِ، لِقَولِهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَا يقضِي القَاضِي بين اثنينِ وهُو غَضبانُ**»[91]، وما ذَاك إلا لِأنه يملِك العبد، ولاَ يملِكُه العبد، فَنعوذُ بِاللّٰهِ مِنه[92].

قَالَ ابن القَيمِ رحمه الله: «أوثِق غَضبك بِسِلسِلَةِ الحِلمِ، فَإنه كَلب إِذَا أفلَت أتلَف»[93].

وكَانَ النبِي صلى الله عليه وسلم يأمر من غَضِب بِتعاطِي أسبابٍ تدفَع عنه الغضب وتسكنه، ويمدح من ملَك نفسه عِند غَضبِهِ، ومِن ذِلك:

---

[90] «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٤١٣).

[91] رواه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

[92] «الأمر بالعزلة في آخر الزمان» (ص١٤٢)، للعلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله.

[93] «الفوائد» (ص٩١).

١- اِلاستِعاذَةُ ِباللهِ مِن الشيطاَنِ الرجِيمِ:

عن سلَيمانَ بنِ صردٍ رضي الله عنه قاَلَ: كُنت جاِلسا مع النِبي صلى الله عليه وسلم ورجلاَنِ يستبان، فَأحدهما احمر وجهه وانتفَخت أوداجه، فَقاَلَ النِبي صلى الله عليه وسلم: «**إِني لَأعلَمُ كَلِمةً لَو قاَلهَا ذَهب عنهُ ما يجِدُ، لَو قاَلَ: أَعُوذُ ِباللّهِ مِن الشيطاَنِ، ذَهب عنهُ ما يجِدُ**»[٩٤].

وعن أَِبي هريرةَ رضي الله عنه قاَلَ: قاَلَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا غَضِب الرجُلُ فَقاَلَ: أَعُوذُ ِباللّهِ، سكَن غَضبُهُ**»[٩٥].

فَإِذَا تعوذَ الغضبانُ ِباللّهِ مِن الشيطاَنِ الرجِيمِ، وصح قَصده ِلذَلِك، فَقَدِ التجأَ ِإلَى اللّهِ تعالَى وقَصده واستجارِ ِبهِ، واللّه تعالَى أَكرم مِن أن يخذُلَ منِ استجارِ ِبهِ[٩٦].

٢- السكُوت:

عنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قاَلَ: قاَلَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «... **وإِذَا غَضِبت فَاسكُت**» قاَلهَا ثَلاَثًا[٩٧].

---

[٩٤] رواه البخاري (٣٢٨٢) و(٦٠٤٨) و(٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).

[٩٥] أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص٢٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٥١). وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٣٧٦).

[٩٦] «المفهم» (٦/ ٥٩٤).

[٩٧] رواه أحمد (٢١٣٦ و٢٥٥٦ و٣٤٤٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣٢٠) من حديث ابن عباس ﵄. وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٩٩١).

أمر صلى الله عليه وسلم بِالسكُوتِ عِند الغضبِ، وكَرر ذِلك ثَلَاثًا لِلتأكِيدِ[٩٨].

وهذَا أيضا دواءٌ عظِيم لِلغضبِ، لِأن الغضبانَ يصدر مِنه فِي حالِ غَضبِهِ مِن القَولِ، ما يندم علَيهِ فِي حالِ زوالِ غَضبِهِ، كَثِير مِن السبابِ وغَيرِهِ مما يعظُم ضرره، فَإِذَا سكَت زالَ هذَا الشر كُله عنه[٩٩].

وقَولُ النبِي صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا غَضِبت فَاسكُت**» يدل علَى أن الغضبانَ مكَلف فِي حالِ غَضبِهِ بِالسكُوتِ، فَيكُونُ حِينئِذٍ مؤاخذًا بِالكَلَامِ[١٠٠].

٣- مدح رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم من ملَك نفسه وكَظَم غَيظَه:

عن أَنسٍ رضي الله عنه: أن النبِي صلى الله عليه وسلم مر بِقَومٍ يصطَرِعونَ فَقَالَ: «**ما هذَا؟**» قَالُوا: يا رسولَ اللّه هذَا فُلَانٌ الصريع، ما يصارِع أَحدا إِلا صرعه. فَقَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا أُدلكُم علَى من هُو أَشد مِنهُ؟ رجُلٌ ظَلَمهُ رجُلٌ فَكَظَم غَيظَه، فَغلَبهُ وغَلَب شيطَانَهُ، وغَلَب شيطَانَ صاحِبِهِ**»[١٠١].

وعن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَيس الشدِيدُ بِالصرعةِ، إِنما الشدِيدُ الذِي يملِكُ نفسهُ عِند الغضبِ**»[١٠٢].

---

[٩٨] «الفتح الرباني» (١/ ١٥٢).

[٩٩] «جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٦٦).

[١٠٠] المصدر السابق (١/ ٣٧٤).

[١٠١] رواه البزار في «كشف الأستار» (٢٠٥٤)، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥١٩).

[١٠٢] رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

وعن عبدِ اللّٰهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: **«ما تعُدونَ الصرعةَ فِيكُم؟»** قَالُوا: الذِي لَا يصرعه الرجالُ، قَالَ: **«لَا، ولَكِنهُ الذِي يملِكُ نفسهُ عِند الغضبِ»**[١٠٣].

وعن معاذِ بنِ أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: **«من كَظَمَ غَيظًا وهُو قَادِر على أن يُنفِذَهُ، دعاهُ اللّٰه عز وجل على رُؤُوس الخَلَائِق يوم القِيامةِ، حتى يُخيرهُ اللّٰهُ مِن الحُورِ ما شاءَ»**[١٠٤].

وعنِ ابنِ عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: **«ما مِن جرعةٍ أعظَمُ أجرًا عِند اللّٰهِ، مِن جرعةِ غَيظٍ كَظَمها عبد ابتِغاءَ وجهِ اللّٰهِ»**[١٠٥].

وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: **«من كَف غَضبهُ، كَف اللّٰهُ عنهُ عذَابهُ»**[١٠٦].

---

[١٠٣] رواه مسلم (٢٦٠٨)، وأبو داود (٤٧٧٩) والسياق له.

[١٠٤] رواه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١ و٢٤٩٣)، وابن ماجه (٤١٨٦). وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٣٩٩٧).

[١٠٥] رواه ابن ماجه (٤١٨٩)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٧٧).

[١٠٦] قطعة من حديث: رواه أبو يعلى (٤٣٣٨)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٣٦٠).

وعن أَبِي الدرداءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رجلٌ لِرسولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: دلِني علَى عملٍ يدخِلُنِي الجَنةَ؟ فَقَالَ رسولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَا تغضب ولَك الجَنةُ**»[107].

والمَعنى: لَا تكُن سرِيع الغضبِ يستثِيرك كُل شيءٍ، بل كُن مطمئِنّا متأنيا[108].

وكَانَ مِن دعائِهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَسأَلُك كَلِمةَ الحَق فِي الرضا والغضبِ**»[109].

وهذا عزِيز جِدا، لِأَن الغضب يحمِلُ صاحِبه علَى أَن يقُولَ غَير الحَق ويفعلَ غَير العدل، فَمن كَانَ لَا يقُولُ إِلا الحق فِي الغضبِ والرضا، دل ذِلك علَى شِدةِ إِيمانِهِ وأَنه يملِك نفسه.

وكَانَ الشعبِي ينشِد:

لَيستِ الأَحلَامُ فِي حال الرضا

إِنما الأَحلَامُ فِي حال الغضب[110]

---

[107] قال المنذري في «الترغيب» (٣/ ٤٤٦): «رواه الطبراني بإسنادين، أحدهما صحيح». وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤٩).

[108] «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٤١٣).

[109] رواه النسائي (١٣٠٥ و١٣٠٦) من حديث عمار بن ياسر ﷺ، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (١٢٣٧ و١٢٣٨).

[110] شرح حديث عمار بن ياسر (ص٢٨)، لابن رجب رحمه الله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر. فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبًا؟ فقال: والله! لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الجنة! فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار». قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته[111].

فهذا غضب لله، ثم تكلم في حال غضبه لله بما لا يجوز، وحتم على الله بما لا يعلم، فأحبط الله عمله، فكيف بمن تكلم في غضبه لنفسه، ومتابعة هواه بما لا يجوز[112]؟!

«فمن غضب في غير حق ولا موعظة صدق، فليعلم أن الشيطان هو الذي يتلاعب به، وأنه مسه طائف منه، وفي هذا ما يزجر عن الغضب لكل من يود أن لا يكون في يد الشيطان، يصرفه كيف يشاء»[113].

فاحرص يا أخي - بارك الله فيك - أن يكون غضبك لله، وتذكر الحديث التالي:

---

[111] رواه أبو داود (٤٩٠١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٩٧).

[112] «جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٧٣).

[113] «تحفة الذاكرين» (ص٢٠٧).

عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه: أن رجلًا شتم أبا بكرٍ، والنبِي صلى الله عليه وسلم جالِس، فَجعلَ النبي صلى الله عليه وسلم يعجب ويبتسِم، فَلَما أَكثَر رد علَيهِ بعض قَولِهِ، فَغضِب النبِي صلى الله عليه وسلم وقَام، فَلَحِقَه أبو بكرٍ فَقَالَ: يا رسولَ اللَّهِ! كَانَ يشتِمنِي وأنت جالِس، فَلَما رددت علَيهِ بعض قَولِهِ؛ غَضِبت وقُمت، قَالَ: «**إِنهُ كَانَ معك ملك يرُد عنك، فَلَما رددت علَيهِ بعض قَولِهِ، وقَع الشيطَانُ، فَلَم أَكُن لِأَقعُد مع الشيطَانِ**»[114].

الخاتمة

إِن الأَخلَاق الحَسنةَ والسلُوك القَوِيم أَجملُ حلِيةٍ يتجملُ بِها المَرءُ بين العِبادِ، وأَقوم طَرِيقٍ يسلُكُه المُرِيد إِلَى ربِهِ جل وعلَا، إِن الأَخلَاق عظِيم شأنها، جلِيلٌ قَدرها، خطِير وقعها.

الدين حسن الخُلُقِ، ومن سبقَك فِي الخُلُقِ، سبقَك فِي الدينِ.

وإِن مثَلَ حسنِ الخُلُقِ فِي الدينِ كَمثَلِ اللآلِئِ فِي البِحارِ، واللبابِ فِي الثمارِ؛ وإِذَا تجرد المُؤمِن مِن مكَارِمِ الأَخلَاقِ ومحاسِنِ الصفَاتِ، فَقَد ذَاته وكَثُرت عثَراته.

فَلنتخلق بِكُل خلُقٍ جمِيلٍ، ولننزه أَنفُسنا عن كُل خلُقٍ رذِيلٍ، فَإِن العبد لَا يزالُ يترقى بِأَخلَاقِهِ العالِيةِ، ويتربى بِآدابِهِ السامِيةِ، حتى يصِلَ إِلَى أَعلَى الدرجاتِ، ولَا يزالُ يسفُلُ فِي أَخلَاقِهِ، حتى يهبِطَ إِلَى أَسفَلِ الدركَاتِ.

---

[114] أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٦) (٩٦٢٢)، وجوَّد إسناده المحدث الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٢٣١).

فَمن طَهر نفسه ِمن الأخلَاقِ الرذِيلَةِ، وألزمها الأخلَاق الجَمِيلَةَ، كَانَ ذَلك عنوانَ سعادَتِهِ، ومنشور سِيادَتِهِ؛ ومن امتَلأَ ِبمساوِئِ الأخلَاقِ القَبِيحةِ، فَليبشِر ِبخسارةِ الدنيا والآخِرةِ، وزوالِ النعمِ الباطِنةِ والظاهِرةِ.

عن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِن الله كَرِيم ُيحِب الكَرم، وُيحِب معالِي الأخلَاقِ، ويكرهُ سِفسافَها**»[115] يعنِي ردِيئَها.

من اللّه علَي وعلَيكُم ِبمكَارِمِ الأخلَاقِ ومعالِيها، وحفِظَنا ِمن مضارها ومساوِيها.

وصلى اللّه وسلم علَى نِبينا محمدٍ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعِين، وآخِر دعوانا أنِ الحَمد ِللّهِ رب العالَمِين.

الفِهرس

الموضوع الصفحة

[115] روا الطبراني (٥٩٢٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٨٠١).

